مسألة ترجمة القرآن

بقلم الفقير الى لطف الله تعالى

مصطفى صبري

شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا

القاهرة

١٣٥١

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبهما محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خصنا معاشر المسلمين على اختلاف أجناسنا بكتاب عربى مبين انزله بلفظه ومعناه على خاتم رسله لئلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأصبحنا بنعمته اخوانا الهنا واحد وكتابنا واحد ونبينا قطع دابر الجاهلية وجعل الاسلام جنسية فوُقينا بفضله داء الامم وغدونا كلنا امة محمد ﷺ فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ولا يستجلب اليه نقضا . وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم باحسان وشدوا ذلك البنيان الى أن خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ولم يقدروه حق قدره فكفروا بنعمته وحاولوا تمزيق وحدته ، ومن يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون

أما بعد فقد يظن اناس مما أحدث فى تركيا من مسألة ترجمة القرآن واقامة المترجَم مقام الاصل فى الصلاة وغيرها ان المقصود منها تجنيس القرآن بالجنسية التركية وهو غير ذلك ومن الغريب انه ارتفع بعض أصوات عربية فى مصر تقابل حادثة تغيير لغة القرآن بما زاد على التسامح فى المسائل القومية وتُعِدُّ لمحدثيها أدلة من كتب الفقه ما طلبوها فقلت متطوعو العرب ينصرون متطرفى الترك وان كان ضد مركز القرآن العربى وان كان ضد مرضاة شعب الترك المسلم ، وهؤلاء المتطوعون لا يدرون أن الحكومة الانقرية فى واد و الاتراك فى واد وهم لا يزالون يخضعون لسلطان القرآن العربى العام على جميع الامم المسلمة ولا يبغون عنه حولا فأحببت أن اقابل تلك الاصوات بصوت يدافع عن سيادة القرآن العامة وصيانة الامة التركية أن يقطع لها آخر حبل يربطها بوحدة الاسلام وأُرى أخطاء

المشتركين فى عمل القطاع من العرب فلعلهم ينتهون ويرحمون الترك فينصرونهم بحجز ظالميهم عن الظلم لا بأن يكونوا عونا للظالمين

ومما يذكر بالاسف أن مسألة ترجمة القرآن الكريم شغلت الصحف اليومية والمجلات فى مصر أياما ثم ذهبت جدتها فصار يكتب من يكتب عنها بعنوان « ترجمة القرآن أيضا » فكأنه يعترف بأنها طالت وأملت والحالة أن مسألة ذات خطورة فى الدين والعلم كهذه لا تعامل معاملة مسائل الايام تروج ثم يذهب رواجها بانقضاء أمدها ويفرغ عنها اما لكونها بسيطة يكفى للبت فى أمرها مداولتها بالاخذ والرد بين ذوى أقلام ديدن أكثرهم أن يكتبوا كثيرا ويتأملوا قليلا واما لقلة خطورتها فلا يعبأ بالمحق فيها والمبطل ولا بما اذا بقى فى أذهان القارئين شىء مما كتبه المبطل فأثر وشىء مما كتبه المحق فلم يُقنع .من هذا أرجو ألا يعد كتابى متأخراً عن أوانه، اذ الافكار تحتاج الى النضج كما تنضج الاثمار ، وفوق ذلك فليس لمسألة العلم أجل مسمى وانما العبرة بالقول الاسمى

صادفت فى صحف مصر دعايتين تذكران لترويج مسألة الترجمة : دعاية أولى للاستاذ فريد وجدى منشورة على صفحات الاهرام ثم المقطم وهى دعاية ظاهرة مع التصريح باسم البلاد التى أحدثت فيها هذه المسألة بل ومع كل الدعاية والهتاف والتشجيع لمحدثيها فيها ،ودعاية ثانية على طرز قول الشاعر :

تبدَّت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وهى منشورة فى السياسة الاسبوعية وفى الاهرام لفضيلة الاستاذ الجليل محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر سابقاً . والفرق الثانى بين الدعايتين أن الاستاذ فريد وجدى تكلم بلسان جديد وبنى دعايته على شبه عصرية اجتماعية وسياسية مع إلمام قليل بأقوال الفقهاء ، أما فضيلة الاستاذ المراغى فلم يتوسع فى الموضوع مثله ولم يتعد حدود الفقه وأقوال الفقهاء فى ترويج مادعا له وان خالفهم فى مقاصدهم واتفق مع الاستاذ فريد فى مغزاه ، فهو أراد أن يكسو التجديد العراء

الذى عرضه الاستاذ فريد على النـاس لباساً فقهياً — وان لم يقدّه على قده فأشبه بالكاسيات العاريات العصرية — فأردت أن أعلق نظرتين على كلمات الاستاذين ثم انى رأيت الامام علاء الدين الكاسانى صاحب (بدائع الصنـائع في ترتيب الشرائع) يتعصب لمذهب الامام أبى حنيفة فى جواز الصلاة بالفارسية مطلقاً الذى مشى الثقات من فقهاء مذهبه على رجوع الامام عنه وعدوه رواية مرجوحة وهو يسعى أن يرجحه على قول صاحبيه الذى رجع اليه الامام أيضاً ، ففكرت فى أنه ربما يتجنب الناس بكلامه و يستخرجون منه سنداً لفتنة الترجمة فأنزلته أيضاً فى ميدان النقاش ولم أحجم عن تعزيز الاستاذين المعارضين بهذا الثالث القديم فعُنيت بنقل كلامه فىأثناء درس المسألة الفقهية وتعقبت كل قطعة منه بتعليقة

ومسألة ترجمة القرآن ان لم تكن تعد من المسائل العلمية والشرعية بالنسبة الى تركيا مثارِ فتنتها لكن دعايتها فى مصر علمية تعتمد على الشبه الرئيسية الآتية :

(١) قول الامام أبى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة مطلقاً
(٢) قول صاحبيه فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة للعاجز عن قراءة القرآن
(٣) تفريق المتكلمين بين الكلام اللفظى و الكلام النفسى عند قولهم بأن القرآن كلام الله غير مخلوق

فهذه مساند مسألة الترجمة القديمةُ اشترك الثلاثة فى الاستناد الى الأولين منها و تفرد صاحب البدائع بالاستناد الى الثالث صراحة وألم به الاستاذان عند الاستخفاف بالنظم تجاه المعنى

(١) ثم ان المجددين يدّعون أهمية فهم القارئ معنى ما يقرؤه فى الصلاة ويقولون ان كون الصلاة عبادة حية يتوقف على هذا الفهم

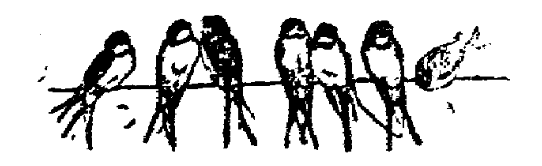
(٢) وانه لا بد من ازالة حيلولة الذين يستغلون الدين بين الشعوب المسلمة غير العرب وبين القرآن و تمثيله بنصوصه المترجمة أمامهم ليكونوا على بينة من

كتابهم فى عصر تكافح الاديان و المذاهب وتحريمُ الترجمة والأخذِ بالتراجم يعد جبناً وفراراً بكتاب الاسلام عن ساحة المقايسة بالكتب

(٣) حبس القرآن فى الدائرة العربية ينافى كونه ديناً عاما ويؤيد شبهة الذين يدّعون اختصاصه بالعرب

والشبهة الاولى من الثلاث الاخرى تمسك بها فضيلة الاستاذ و بالغ فى التمسك حتى حرّف كلمات الفقهاء عن مواضعها وتلاعب بها الاستاذ فريد فى التشويش على العقول ، والشبهتان الاخيرتان تفرد بهما الاستاذ فريد

وهذه مساند مسألة الترجمة الحديثةُ فأردنا أن نرتب كتابنا على قسمين قسم لدفع الشبه القديمة وقسم للرد على الشبه الحديثة . الا أن فضيلة الاستاذ لما أكثر التحكك بفهم المعنى عند نقل أقوال الفقهاء لزمنا أن نبادر الى الكلام عليه فى القسم الاول فبذلك اشتمل هذا القسم على أربع ، واختص القسم الثانى باثنتين . وتكلمنا فى القسم الاول مع فضيلة الاستاذ ثم صاحب البدائع وفى القسم الثانى مع الاستاذ فريد وجدى رداً على الشبهتين الاخيرتين وعلى مغالطاته الخارجة عن الصدد . و الله تعالى أسأله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم و يتقبله جهاداً فى سبيل القرآن الحكيم



القسم الأول

١

النظرة الخاصة بمقـــال فضيلة الاستاذ المراغى

ما حبذ فضيلة الاستاذ الانقلابات اللادينية التى طرأت على البلاد الاسلامية كما حبذ الاستاذ فريد ولا فرط فى كرامة القرآن كتفريطه بنفى القداسة عن نظمه العربى وانكار اعجازه من ناحية البلاغة وادعاء استطاعة الكتّاب لا سيما الغربيين أن يأتوا بتراجم له تساوى أصله من كل وجه ، بل اعترف فضيلته بأن التراجم تنحط عن رتبة القرآن وتفقد الاعجاز والمعانىَ الثانوية التى تتبع الاعجاز ولكن ادعى أن المعانى الاصلية يستطاع حفظها عند النقل الى أى لغة وان الاحكام تستنبط من المعانى الاصلية وكونها محفوظة عند النقل يكفى للتراجم وصحتها بل يكفى لاستنباط الاحكام منها وارتقاء من أراد من الاعاجم الى رتبة الاجتهاد فى الكتاب من دون حاجة الى معرفة القرآن ولغته واعترف فضيلته أيضاً بأن جميع آيات القرآن لا تمكن ترجمتها ترجمة حرفية وانما يمكن ذلك فى بعض الآيات أو الآيات الكثيرة أو فى اكثر الآيات على اختلاف عبارات الشيخ ، وان الصلاة لا تجوز الا بتراجم الآيات التى تمكن ترجمتها ترجمة حرفية ولا تجوز الصلاة بتفسير القرآن ولا بالترجمة المعنوية التى هى فى حكم التفسير .

هذه خلاصة ما يرى القارئ فى مقال فضيلة الشيخ من الفرق بينه وبين الاستاذ فريد ويحكم له بالاعتدال فى غير مسألة استنباط الاحكام من التراجم ، وهذا الفرق بين الاستاذين فى المقدمات فالاستاذ فريد جرىء فيها وفضيلة الاستاذ الشيخ هادئ متحوط وهما مع ذلك يتفقان فى الغاية والمرمى ففضيلته مع اعترافه

بامتياز القرآن على التراجم من حيث بلاغته المعجزة و اعترافه بأن التراجم ليست قرآناً ولا يصح أن تسمى قرآنا وانما هى معانى القرآن يقول بعدم لزوم الاعجاز للاعاجم بل للعرب أيضاً بعد ذهاب عصر الذين أدركوا الاعجاز من طريق الذوق وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الادراك و يرى قراءة التراجم أولى للاعاجم فى الصلاة وغيرها كما سيأتى تفصيله لانفهام معانيها لهم فتكون صلاتهم حية بها فالقرآن ان بقى عندهم يبقى مستغنى عنه وتقوم مقامه التراجم حتى ان علماءهم يستغنون بها عن القرآن فى استنباط الاحكام والوصول الى مرتبة الاجتهاد فهل لا يكون إذن اعترافه بعلو مكان القرآن على مكان التراجم وسلب تسميتها قرآناً هدراً لا قيمة له فى ساحة العمل الا بقدر ما يرى للمصلى القادر على قراءة القرآن من الاعاجم فانما معناه أن يجعل لصلاته حظاً من القرآن العربى وجوبا على مذهب صاحبى الامام مع ان الاستغناء بالتراجم يقضى على وجود مثل ذلك القادر فى الاعاجم

ثم ان فضيلة الاستاذ عقد فصولا لمقاله و بدأ بفصل امكان الترجمة وأتى فى صدر كلامه بنقل طويل عن موافقات الامام الشاطبى خلاصته الاستدلال على صحة ترجمة القرآن وجوازها بصحة تفسير القرآن وجوازه باتفاق أهل الاسلام ويتضمن ذلك النقل أن للقرآن دلالات أصلية على معان مطلقة و دلالات تابعة على معان خاصة ، فمن حيث الدلالة الاولى التى لا تختلف باختلاف اللغات أمكنت ترجمة القرآن وان لم تمكن من حيث الدلالة التى تدور عليها ميزات نظم القرآن مثل الاعجاز . وانى لا أدرى ما الحاجة الى التكلف باثبات جواز الترجمة المستدل عليه بجواز التفسير لأن هذه الترجمة تصير من قبيل التفسير ولا كلام فى جواز الترجمة التفسيرية وانما الكلام فى ترجمة تقوم مقام القرآن في الصلاة وغيرها مع أنه اعترف بأن الصلاة لا تجوز بالتفسير ولا بالترجمة التى تشبه التفسير وانما تجوز بالترجمة الحرفية والترجمة الحرفية لا يصح الاستدلال على جوازها قياسا بجواز التفسير لكونه قياساً مع الفارق ، ألا يرى أن التفسير يمكن فى جميع آيات

القرآن ولا تمكن الترجمة الحرفية الا فى بعضها باعتراف فضيلة الاستاذ . وأما الترجمة المعنوية التى صادفناها فى كلامه وإياها عنى عند ما قال بامكان الترجمة فى كل الآيات وعند ما قال بامكان حفظ المعانى الاصلية فى التراجم وعند ما قال بعدم المانع عن تقليد المجتهد الاعجمى المترجمَ فهى عندنا ملحقة بالتفسير بل وعنده أيضاً ويؤيده أن الصلاة لا تجوز بها أيضاً عنده فما هى أيضاً بالترجمة التى تصلح أن تقوم مقام القرآن وان كان منفها من كلامه أنه يقيمها مقامه للتلاوة فى خارج الصلاة واستنباط الاحكام منها فى حين أنه يقيم الترجمة الحرفية التى قال بامكانها في بعض الآيات مقامه فى الصلاة والترجمة المعنوية فى غير الصلاة ولا توجد ترجمة واحدة تعم جميع الآيات وتقوم مقام القرآن فى كل حال . وعندنا مانع آخر يمنع امكان ترجمة تقوم مقام القرآن وتساويه ولو من حيث الدلالة على المعانى الاصلية ويعم هذا المانع جميع أنواع الترجمة وهو أن الترجمة يحتمل وقوع الخطأ فيها مع عدم احتماله فى القرآن وقد اعترف فضيلة الاستاذ بعدم امكان أن تدعى العصمة لاى مترجم وكان قياس الترجمة بالتفسير والاستدلال بجوازه على جوازها يقضى عليه باعتراف احتمال الخطأ فى الترجمة إذ التفسير يحتمله أيضاً

ثم ان الآيات التى تمكن فيها الترجمة الحرفية ليست بأكثر من التى تتعذر فيها وان كان زعم فضيلته على خلافه ، ولا حاجة بنا الى السؤال عن ترجمة مثل قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » إذ له أن يلحقه بالآيات التى تتعذر فيها الترجمة الحرفية ولا تتعذر الترجمة المعنوية بل ان كل آية مصدرة بنحو « وإذ قلنا لك ان ربك .. » أو « وإذ قال ربك .. » أو « وإذ قلنا للملائكة » أو « وإذ قال موسى . . » أو « وإذ قال الله ياعيسى » أو « وإذ قلتم يا موسى » أو « وإذ تقول للذى أنعم » أو « واذ ابتلى ابراهيم ربه » أو « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » أو « وإذ يريكموهم اذ التقيتم » أو « ويوم ينفخ فى الصور » أو « ويوم يعرض الذين كفروا » أو « ويوم يعض الظالم على يديه » أو « ويوم يناديهم

فيقول » أو « يوم يجمعكم ليوم الجمع » أو « يوم تكون السماء » أو « سبحان الذى أسرى بعبده » أو « سبحان الله رب العرش » أو « فبعداً للقوم الظالمين » يلزم أن يلحق بالآيات التى تأبى الترجمة الحرفية لان الافعال المحذوفة التى تتعلق بها الظروف الزمانية فى هذه الجمل أو تنصب المصادر مما شاع حذفه فى استعمال العرب ان لم تذكر فى الترجمة التركية مثلا فلا تتم معانيها حتى البسملة من هذا القبيل[1] وإن ذكرت فلا تكون الترجمة حرفية فهى تتعذر بأدنى سبب يتولد من اختلاف اللغتين ويمكن الاكثار من إيراد أمثلة له من غير حاجة الى التمثيل بالآيات التى يأبى اعجازها وأسلوبها العالى الترجمة الحرفية

ومما ينبغى أن يعلم أن الترجمة الحرفية التى اعترف فضيلة الاستاذ بعدم جواز الصلاة بغيرها من أنواع التراجم ماهى بالترجمة التى أرادها محدثو فتنة الترجمة ولا هى بالتى روجها زميل فضيلته أعنى الاستاذ فريد[2] ولا بالتى ترجم اليها القرآن فى ألسنة الغربيين بل المعتاد المتعارف فى التراجم الزمنية الترجمة المعنوية ، إذ الترجمة الحرفية لايراعى فيها الفروق التى تفترق بها اللغتان وتختلفان فتكون جامدة جداً ويكون جمودها زيادة على ضياع الاعجاز فى التراجم وعلى أن الترجمة الحرفية

---

(١) ولكون البسملة مما لا يترجم ترجمة حرفية من جهة حذف متعلق الجار ومن جهة عدم وجود ما يترجم اليه الرحمن والرحيم مفترقا كل منهما عن الآخر يقع الاشكال فيما روى من ترجمة سلمان الفاتحة بالفارسية وأيد به مذهب أبي حنيفة وقد نقل فضيلة الشيخ عن تلك الترجمة ترجمة البسملة الى الرحمن وليس فيها ترجمة الرحيم فعلى الاصل الذي اعترف به الشيخ من عدم جواز الصلاة بترجمة الآيات التي لا تقبل الترجمة الحرفية يلزم أن لا تجوز الصلاة بترجمة سلمان أما مع البسملة فظاهر وأما بدون البسملة فلوجود الرحمن الرحيم فى الفاتحة أيضاً . ولك أن تعد الحمد لله أيضاً مما لا يقبل الترجمة الحرفية لاحتمال كونه خبرا وانشاء وعلى ترجمة سلمان كلام آخر فيما يأتي.

(٢) وان زعم الاستاذ أن ماهو بصدد ترويجه هى الترجمة الحرفية فاجتهد فى اثبات امكانها واستدل عليه بتراجم الغربيين لكن الحق أن الترجمة التي أراد الاستاذ اثبات امكانها هى التي سماها فضيلة الاستاذ الترجمة المعنوية وقد عبر عنها الاستاذ فريد فى موضع من كلامه بالترجمة الفنية وتراجم الغربيين بل وكل ترجمة يراد بها تصوير الاصل بصورته الصحيحة من ذاك القبيل لا ما عبر عنه بالترجمة الحرفية فبين الترجمة الحرفية التي فى كلام الاستاذ وبين الترجمة الحرفية التي فى كلام فضيلته فرق ولذا ذهب فضيلته الى عدم امكانها فى كل آيات القرآن

ترجمة ناقصة لاتجرى فى جميع الآيات ولا يتأتى بها مصحف ترجمى يستبدله أهل الفتنة بمصحف القرآن كما لايوافق هواهم ومغزاهم ما سيأتى من كتابة كل سطر من القرآن وترجمته تحته . وإذن ففضيلة الاستاذ لم يرضهم بمقاله ولم يقض الحاجة الزمنية التى ادعوها وانحاز فضيلته الى المعترفين بها فلم ينفعهم فى مقاصدهم بالرغم من أنه ابتعدعن مقاصد الفقهاءالذين اجتهد واجتنى نقولامن كتبهم وساقها مساق فتوى الجواز وستطلع عليه

استنباط الاحكام من التراجم

ثم ان فضيلة الاستاذ نقل عن موافقات الشاطبى أيضاً ان الاحكام الشرعية تستفاد من جهة المعانى الاصلية ولا تستفاد على ماهو المختار عنده من جهة المعانى التابعة وانتقل من هذا النقل الى صحة استنباط الاحكام من التراجم حيث قال « والتراجم لايصح أن تسمى القرآن ولكن سلب هذه التسمية لايستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها لأن الأحكام تستفاد من المعانى التى هى مدلولات الألفاظ العربية والمعانى يصح نقلها الى اللغات » فيريد أن يدعى ان غير العرب يمكنهم أن يرتقوا الى رتبة الاجتهاد ويستنبطوا الأحكام من القرآن بواسطة تراجمه من غير أن يعلموا شيئاً من نظم القرآن ولغة العرب ومناهج دلالاتهما المبسوطة فى العلوم العربية وعلم أصول الفقه أو بتطبيق مابين فى علم الأصول لنظم القرآن على نظم التراجم

ونحن نقول لو سلمنا ان الأحكام تستفاد من الدلالات الاصلية وسلمنا ان سلب اسم القرآن من الترجمة لايستلزم سلب جواز استخراج الاحكام منها فلا نسلم ان استخراج الاحكام منها يعتبر استخراج الأحكام من القرآن لان الترجمة غير القرآن لا اسماً فقط كما اعترف به ولا من جهة الدلالات التابعة فقط كما اعترف به أيضاً بل ومن جهة الدلالات الاصلية كما قدمنا من ان الترجمة بكل دلالاتها

يحتمل وقوع الخطأ فيها وقد اضطر فضيلته الى الاعتراف به أيضاً مع ان القرآن لا احتمال فيه للخطأ ولا يصدق على الترجمة تعريف القرآن المذكور في علم الاصول من انه النظم العربي المنزل على محمد ﷺ المنقول عنه تواتراً فما بين دفتي المصاحف فكيف يعتبر استنباط الاحكام من التراجم استنباطاً من القرآن والاجتهاد فيها اجتهاداً فيه . نعم سيأتي في بحث الصلاة بالترجمة ان القرآن عبارة عن المعنى على قول من أبي حنيفة وسيأتي قولنا في ذلك القول وسيأتي أيضاً ان القرآن كلام الله غير مخلوق بالمعنى النفسي عند الاشاعرة وسيأتي قولنا فيه أيضاً سيأتي كل ذلك ولكن مهما كان القرآن عبارة عن أي شيء عند أي أحد فالقرآن في نظر الاصولي الذي ينظر اليه من ناحية كونه دليل الاحكام الشرعية وموضع الاجتهاد عبارة عن النظم العربي المنزل المنقول تواتراً وليس من هذا التعريف شيء في الترجمة فلا يكون الاجتهاد فيها اجتهاداً في القرآن قطعاً وفضيلة الاستاذ سلم نفي القرآن عن الترجمة ثم اعتبر الاجتهاد في الترجمة اجتهاداً في القرآن ولم ير أن يكون المجتهد بهذه الصورة مقلداً للمترجم مانعاً في اجتهاده فتخيل مجتهداً مقلداً في فهم معنى ما يجتهد فيه مع كون الاجتهاد ليس الا الفهم والامعان فيه وقياس هذا الاجتهاد المبني على التقليد بما نقله عن الغزالي رحمه الله من « ان الاحاديث التي اشتهر رواتها بالعدالة وقبلتها الامة لا يلزم المجتهد أن يبحث عن أسانيدها وان الاحاديث التي ليست كذلك يكفيه فيها تعديل الامام العدل في روايتها » غير تام التقريب لان ما قاله الغزالي تقليد في الاسناد لا تقليد في الاجتهاد كما يفعله المجتهد الذي يقلد المترجم في فهم معنى القرآن وقياسه باستعانة المجتهد بمعاجم اللغة أو استشهاده بالاشعار المروية من أبعد الأقيسة انطباقاً وهل يمكن أحداً أن يفهم كتاباً مؤلفاً في غير لغته الذي لا يعرف منه شيئاً سوى مراجعة معاجمه وما ذاك الا لان المعاجم أدوات عمومية ووسائط تالية لا تعد حاجة المجتهد اليها في بعض الاحيان منقصة تخل برتبة الاجتهاد والانسان لا يتعلم اللغة من المعاجم كما يتعلمها من المعلم ولا يلزم المجتهد أن

لا يحتاج الى استعانة بأى شيء ويحضر عنده كل شيء فالمعاجم ربما تكون عونا له من بعيد على اجتهاده الذى حضر عنده معظم ما يحتاج اليه فيه والتقليد فى الوسائط البعيدة لا ينافى الاجتهاد ما لم يدخل التقليد فى صلب الاجتهاد كمن يقوده المترجم الى كل ما يعرفه من القرآن الذى يفرض أن يكون مجتهداً فيه فكأنه يتدبر القرآن بعقل المترجم ويتفهمه بفهمه ويقلده فى كل شيء يتعلق به فقياس احتياجه اليه باستعانة أهل الاجتهاد من العلماء فى بعض الاحيان بمعاجم اللغة لا يليق الا بمن لا يقدر الاجتهاد قدره ولا الامانة فى الاجتهاد قدرها ولا العلم بلغة من اللغات والتعمق فيها الا بقدر ما يتمكن الانسان من مراجعة معاجمها فهذا فى غاية الغرابة من فضيلة الاستاذ الذى اشتكى اقفال باب الاجتهاد فى الكتاب والسنة على العرب أنفسهم ثم اعتبره ممكنها لغيرهم بلا معرفة لغتهم أو هذه غاية فى تلك الشكاية ومراغمة على مقفلى أبواب الاجتهاد فلو أمكن استنباط الاحكام من القرآن بواسطة ترجمته لما أوجب الاصوليون على المجتهد شروطاً من جملتها معرفة لغة العرب . قال الاسنوى فى شرح المنهاج « السادس علم العربية من اللغة والنحو والتصريف لان الادلة من الكتاب والسنة عربية الدلالة فلا يمكن استنباط الاحكام منها الا بفهم كلام العرب » والعجب ان فضيلة الاستاذ اشترط على قارئ القرآن فهم العربية كما سيأتى ولم يشترطه على المجتهد

وانى كما أرى فضيلة الاستاذ ذاهلا عن أقدم شروط الاجتهاد فى الكتاب والسنة أراه غير واقف على أحوال المسلمين الاعاجم حيث قال : « واذا كان الامر هكذا فكيف يدعى ان الذين يعتمدون على التراجم لا يسلم لهم شيء من أصول الاسلام وكيف يدعى ان مسلماً لا يقول بأن الاحكام تؤخذ من التراجم ثم كيف يقال هذا والعالم الاسلامى أكثره غير عربى وأكثر الامم الاعجمية لا تعرف اللغة العربيـة ولا تقرأ النص العربى وقد نقلت اليها أصول الاسلام كلها الى لغاتها وحملت لغاتهـا تلك الاصول كما حملت اليهم الفروع أيضاً وسلمت

لهم تلك الاصول والفروع » ولا يلزم من أن يكون أكثر العالم الاسلامى غير عربى وأكثر الامم الاعجمية لاتعرف اللغة العربية ولا تقرأ النص العربى وقد نقلت اليها أصول الاسلام وفروعها أن يكون نقلة تلك الاصول والفروع اليها هم الذين لايعرفون اللغة العربية ولايقرأون النص العربى فهو يحسب أن فيهم مترجمى الكتاب والسنة كانوا يعرفون اللغة العربية والنص العربى طبعاً وأن فيهم مجتهدين استنبطوا الاحكام من التراجم فكأن مترجميهم كانوا لايجتهدون ومجتهديهم كانوا لايعرفون العربية ولا يقرؤن النص العربى ، وهذا حسبان عجيب ، والحال أن وصول أصول الاسلام وفروعه اليهم لم يكن بترجمة الكتاب والسنة الى لغاتهم ثم استنباط مجتهديهم الاحكام من التراجم بل بترجمة الاحكام المستنبطة من الكتاب والسنة أو استنباط مجتهديهم العارفين باللغة العربية الجامعين شروط الاجتهاد من الكتاب والسنة من غير ترجمة شيء ، وقد يوهم كلامه أن أكثر الامم الاعجمية لايقرؤن النص العربى — أى القرآن — بل يقرؤن ترجمته والواقع أن كلهم يقرؤن من النص العربى على الاقل ما يجزئهم فى صلاتهم وان لم يعرفوا اللغة العربية

ومما ينتقد عليه فى هذا الباب قوله فى ترويج الترجمة « وهل الافضل للامم الاعجمية أن تبقى كما هى قانعة بقراءة الفاتحة فى الصلاة » لان الاحناف لايقنعون بقراءة الفاتحة لوجوب ضم سورة اليها عندهم وغير الاحناف لامساغ لقراءة الترجمة فى الصلاة بتاتاً فى مذهبهم ومقصوده من ذاك القول التعريض بقلة ما يقرأه الاعاجم فى صلاتهم من القرآن لقلة معرفتهم به ونحن نسلم ذلك فى عامتهم لكن أصل الداء عدم اهتمام المسلمين اليوم بأمر دينهم لاقلة معرفتهم بالقرآن وفى استطاعتهم الاكثار منها لو اهتموا بأمر الدين حتى أن المكثرين من معرفة القرآن لايتوسعون فى قراءته ويقتصرون فى صلاتهم على قراءة سور محدودة فلو قرأوا التراجم لاقتصروا منها أيضاً على تراجم سور محدودة

ومما تظهر منه سخافة اجتهاد فضيلة الاستاذ فى تجويز الاجتهاد فى القرآن بواسطة التراجم ان العهود الدولية التى يقع اتفاق الطرفين المتعاهدين على موادها فى لغة من اللغات ويوقعان عليها انما تكون حجة ملزمة بنصها فى تلك اللغة ولا يجوز الاحتجاج بتراجمها ولا الاستدلال بنصوص التراجم ، هذا فى كلام البشر وكلام الله ليس بأهون منه !

ميزة القرآن وميزة الترجمة

فضيلة الاستاذ يعترف طبعاً بأن الاعجاز الذى حازه نظم القرآن لا يمكن نقله الى التراجم وليس ذلك فى استطاعة البشر لكنه يقول مع الاعتراف بهذه الميزة القاهرة للنظم العربى « ان قراءة الاعاجم للنظم العربى نفسه لايدلهم على الاعجاز وليس فى استطاعتهم فهمه والأمم العربية الآن ومن أزمنة طويلة خلت لايفقهون الاعجاز من النظم العربى وقد انقضى عصر الذين أدركوا الاعجاز من طريق الذوق وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الادراك ونحن الآن نقيم على الاعجاز أدلة عقلية فنقول ان القرآن تحدى العرب وانهم عجزوا وهذا يدل على انه من عند الله » يعنى انه لامانع عنده فى الترجمة من ناحية الاعجاز فهو ميزة القرآن بالنسبة الى العرب أما الاعاجم فليس فى استطاعتهم فهمه بل العرب اليوم ومن زمان يشاركهم فى عدم فهم الاعجاز بالذوق من القرآن ثم يعود فيقول : « لاينكر أحد ممن يتذوق طعم العربية مسلماً كان أو نصرانيا أو يهوديا مالنظم القرآن العربى من الطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ولذلك نقول انه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها أن لايحيدوا عن قراءة النظم العربى الى قراءة احدى التراجم فان ذلك عبث واستهزاء ولكن من لنا بأن نعرّب الامم الاعجمية الاسلامية لتنال هذه اللذة وتقع تحت هذا التأثير ولا يمكن الادعاء بأن النظم العربى يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوى أو فارسى أو تركى أو يابانى أو صينى لايفهم العربية فالامم

الاسلامية التى لاتفقه العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربى حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير وعلى العكس فان قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولذتها وتأثيرها ، ومن الخير أن نوفر لهم الحصول على بعض هذه المقاصد اذا فاتهم المقاصد كلها » . يظهر من مجموع مانقلناه عن فضيلة الاستاذ من كون الدلالة على المعانى الاصلية المقصودة فى استنباط الأحكام محفوظة فى التراجم وكون الاعجاز غير مقصود ولا مفهوم للاعاجم وكون اللذة والطلاوة والتأثير فى النفوس غير موجودة بالنسبة اليهم فى النظم العربى وموجودة فى التراجم من ناحية الاطلاع على المعنى ، يظهر من مجموع ما ذكر ان قراءة التراجم أنسب عنده للاعاجم وأنفع من قراءة النظم العربى وان كانوا يحسنون قراءته وان كانوا من حملته وحفاظه فالاستاذ يرى فى قراءتهم النظم العربى فوات المقاصد كلها فى حين أن يكون خيراً لهم الحصول على بعض هذه المقاصد فى قراءتهم التراجم (وانى لا أرى خيراً قط فى هذه الفكرة فكرةِ تحويل وجوه المسلمين غير العرب الى التراجم وترجيحها لهم فلو كان السلف الصالح من علماء الاسلام فى هذه العقلية وزينت لهم هذه الفكرة لما بقى القرآن الكريم فى أيدى الشعوب المسلمة غير العرب بل احتمل أن يترجمه العرب ترجمة عربية أقرب الى افهام عامتهم فيفقد القرآن تواتره العام وينقلب كتابا يرجع اليه الخواص عند اللزوم أو يحفظ فى دور الآثار ، ولكن الله سلم أئمة الدين من هذه العقلية وألهمهم الاهتمام بنظم القرآن/ذلك الاهتمام الذى جعلهم يعرّفون القرآن بالنظم العربى المنزل المنقول فيما بين دفتى المصاحف تواتراً وألهمهم البت بأن غير المتواتر ليس بقرآن حتى يكفُر من أنكر ما هو من القرآن ويكفر من ألحق بالقرآن ماليس منه فحرسوا مكان القرآن بسياجين فولاذيين من النفى والاثبات أن يدانى ساحته الشك والريب أو يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه وكان هذا الاهتمام بحفظ القرآن مطلوبا عند الشارع حتى جعله وحياً متلواً فأوجب قراءته فى الصلوات

الخمس ووعد الثواب لتلاوته والنظر الى صحائف مصحفه من غير اشتراط فهم المعنى للتالى والناظر فبفضل تحديد النظم للقرآن تقررت وحدته وقضى على الاختلاف فيه وتخلص النص المنزل على الرسول ﷺ عن مزاحمة النصوص الملحقة به ، ووحدة كتاب الاسلام نعمة عظيمة على المسلمين لا تعدلها فائدة فهم العامة الناقص معنى القرآن عند تلاوة التراجم . فليت شعرى كيف يرضى فضيلة الشيخ بضياع جميع أوصاف القرآن التى ذكرها أئمة الدين فى تعريفه من العربية والاعجاز والانزال والنقل بالتواتر والثبوت فى المصاحف ـ وهو ذكر الاعجاز فقط واعتذر فيه ـ كيف يرضى بضياع تلك الاوصاف عما يقرأه المسلمون بدل القرآن وبضياع وحدة كتابهم وحلول التشتت والتفرق محلها وحلول الضعف مكان القوة وكيف يستغنى عما يكسبون فى قراءة التراجم من الفهم الناقص عن كل ما يضيع مع انا لا نحرمهم فهم المعنى ونقول فلتوجد الترجمة عندهم يرجعوا اليه متى شاءوا ويطالعوه كالتفسير الموجز للقرآن بشرط أن لا يتخذوه قرآناً ولا يتلوه فى الصلوات والمساجد والاندية والمنازل كما يتلى القرآن فليس فى تلاوة القرآن فوات جميع المقاصد كما ادعاه فضيلة الاستاذ وفى تلاوة الترجمة الحصول على بعض منها بل فى تلاوة القرآن غير المانعة عن مطالعة الترجمة جمع المقاصد والفوائد كلها لان فيها تلاوة الالفاظ المكتوبة فى اللوح المحفوظ عند الله والتى تلقاها ملك الوحى من الله تعالى فانزلها على الرسول ﷺ وقرأها عليه وهو قرأ على الصحابة والله أمرنا بقراءته وترتيله وفى قراءته أيضاً اعانة على محافظة وحدة القرآن وتواتره وبعد كل ذلك فالمسلمون عربهم وعجمهم مستأنسون بقراءته وسماعه نافرون من قراءة غيره وسماعه مكانه وهذا الاستئناس بالقرآن العربى تأسس فى نفوسهم وأعرق بحيث لا يمكن تبديله إلا على خلاف الطوع والرضا منهم كما وقع فى تركيا وبهذا يسقط حديث اللذة وحصرها للاعاجم على التراجم فالمسلمون الاعاجم يجدون فى قراءة القرآن العربى واستماعه لذة لا تقل قطعاً عن لذة فهم المعنى والله قادر على أن يخلق تلك اللذة فى نفوسهم احتفاظاً بموقع كتابه فيها وأصدق شاهد على استلذاذ

المسلمين غير العرب بقراءة القرآن وسماعه وجود حملة القرآن فى الاتراك بكثرة لا تحصى بألوف ولا بعشرات من الالوف فلو لم يستلذوا قراءته واستماعه لما كانت تلك الرغبة منهم فى حفظه ومن يضمن لنا أن يوجد أحد يرغب فى حفظ الترجمة كما يحفظ القرآن ويرغب فى حفظه عند العرب والعجم

وكنت فى صباى أعالج حفظ القرآن فى بلدتنا توقاد من بلاد الاناضول وأنا فى تاسعة عمرى وكان استاذى الذى أقرؤ عليه فى الكُتّاب يستمع لى أنا وثلاثة أو أربعة من مثلى فى وقت واحد وكان يغمض عينيه عند الاستماع حتى إذا غلط أحدنا فى التلاوة فتح عينيه عليه وكنا ننظر الى وجهه حال الاغماض ولا نخشى بأسه لعدم رؤيته إيانا والاستاذ رحمه الله وصبّ عليه سجال غفرانه فى خشوع تام فنراه تنجم قطرة دمع كبيرة من مؤق احدى عينيه ثم من مؤق أخراهما فتدحرجان من خديه الى لحيته الطويلة وكنا نراها منه كل يوم ولا إخال أن الاستاذ كان يفهم معانى ما نتلوه من الذكر الحكيم فجل ما كان يبكيه كل يوم من تلاوتنا عليه هو احترام القرآن ومحبته وما خلق الله فى نفسه من التأثر والتلذذ به . ولو كان الرجل سمع مكان القرآن ترجمته بالتركية لسد أذنيه وفرّ من سماع هذه البدعة أو بكى حينئذ أسفاً على القرآن

ثم ان مدار العبادة ليس تلذذ العابد بها بل اكتساب رضى المعبود والائتمار بأمره فكمال العبادة ونقصانها يوزن بكمال هذين الامرين ونقصانهما فيها والله تعالى أمر المسلمين بقراءة القرآن الذى هو فى عرف الشرع وتفاهم الناس اسم للقرآن العربى المنزل فالحيدة عن قراءته الى قراءة غيره من أى أحد بحجة أنه يفهمه أو يستلذه حيدة عن محجة الامر ومخالفة للآمر وقد وسع علم الآمر أن لغة القرآن عربية وان المسلمين شعوب فلم يقل هذا للعرب وللاعاجم التراجم ولم يسمع فى عصر النبى ﷺ ولا فى عصر الخلفاء الراشدين ولا التابعين اختيار التراجم لغير العرب واختلاف المسلمين على القرآن الا ما يروى من ترجمة سلمان الفاتحة

ولم يصل منها الى فضيلة الشيخ المراغى الا ترجمة بعض البسملة ولم يمكث عليها الفرس الا ريثما استلانت ألسنتهم القرآن كما شهدت به الرواية نفسها على تقدير صحتها فأين ترجمة الفاتحة وأين ترجمة القرآن بالفارسية فلينظر فضيلة الشيخ الى ماوصل اليه من ترجمة سلمان بواسطة رواية ضعيفة ثم ليقايس بينه و بين وصول القرآن وطريق وصوله الى شعوب المسلمين وتوارثهم إياه سلفاً عن سلف بتواتر متواصل وليفهم أن ترجيحه التراجم على القرآن للاعاجم لايتفق وهذا التوارث المتصل طرفه بعصر النبى ﷺ وأصحابه)

والذين يتذرعون الى ترويج التراجم من ناحية الاهتمام بفهم معنى ما يقرؤه المصلى فى صلاته ويقولون انه يناجى ربه فيجدر به أن يفهم معنى ما يقول فى مناجاته وان الصلاة حالة مناجاة لا حالة اعجاز، يذهب عليهم أن الصلاة أمر بها الشارع ورتبها وعين ما يقرأ فيها ولعل حكمة قراءة القرآن فيها التوسل الى الله بكلامه فيلزم أن يكون كلامه لفظاً ومعنى وفى قراءته بنصه المعجز الاقرار بدليل النبوة والخضوع له والاحتفاظ به وهو دليل بلفظه ومعناه فالقرآن كلام الله ومعجزة خاتم الرسل ﷺ وقد أنزله الله بنصه ليكون معجزته فلايبعد أن لايتنازل الشارع عن اعجاز ما أنزله معجزه فيأمر بقراءته فى الصلاة بنصه ولايجوّز العدول عنه الى ترجمته بحجة أنه يفهمها بعض المصلين دونه اذ المطلوب قراءة القرآن والترجمة من حيث تفقد الاعجاز تغير القرآن بدرجة أنها تذهب باعجاز المعجزة وماذا يبقى فى المعجزة بعد ذهاب اعجازها . فهكذا يلزم أن تقدر الخسارة فى الترجمة وتقاس بفائدة فهم القارئ العامى معنى ما يقرؤه فى الصلاة ونحن لا نمنعه من هذا الفهم فله أن يستفهم فى خارج الصلاة ما يقرؤه فيها أو يراجع الترجمة فيطلع على معناه ويقرؤه فى الصلاة مطلعاً على معناه على أن العامى ربما لا يلائم عقله اذا فهم المعنى أن يناجى ربه بما خاطبه الله به نبيه أو أمر به عباده ونهى ولو كانت صلاة الاسلام من قبيل المناجاة المرتبة على عقلية أناس مثل دعاة الترجمة لما أمر فيها بقراءة القرآن الذى هو كلام الله وخطابه عباده بل بقراءة كلام المناجى لفظا ومعنى)

مناسبة فتنة الترجمة بأقوال الفقهاء

واذا لخصنا النظر فى كلام فضيلة الشيخ فى ترجمة القرآن وامكانها فهو لم يأت فيه بدعوى يظهر بطلانه لكل أحد كدعوى الاستاذ فريد نفى الاعجاز عن نظم القرآن فالشيخ روج الترجمة بأسلوب غير أسلوب الاستاذ، ولكنه كما علمت وستعلم من نقد كلماته والتنصيص على مواضع الضعف فيها لم يوفق أيضاً لاثبات مدعاه ولم يخل كلامه فى نفسه من الاضطراب حيث قال تارة بامكان الترجمة فى جميع آيات القرآن كما أمكن التفسير وتارة بامكانها فى آيات دون آيات وتارة بامكان ترجمته كله من ناحية الدلالات الاصلية، واستحالة ترجمته من ناحية الدلالات التابعة وتارة بأن الترجمة الحرفية غير مستطاعة فى كل آيات القرآن وبناء على ذلك فلا تجوز الصلاة بأية آية مترجمة بل بالآية التى تترجم ترجمة حرفية فكانت غاية ما استخلصنا من تأليف كلماته بعضها مع بعض أنه يقول بامكان الترجمة الحرفية فى بعض الآيات وامكان الترجمة المعنوية فى جميعها من ناحية الدلالات الاصلية

وفضيلة الاستاذ معترف بعدم حصول الاعجاز فى أى نوع من أنواع التراجم لكن التراجم القائمة مقام القرآن المعجز يكون مواقع آيات التحدى فيها من أغرب مايكون مثل قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً » فقارئ الترجمة لايفهم منه شيئاً وهو يعلم أن الترجمة التى يقرؤها مستطاع الاتيان بمثلها لمترجم آخر من نظراء الاول من غير احتياج الى اجتماع الانس والجن وارجاع الاشارة الى الاصل يؤدى الى تحريف فى الترجمة ومثله لايجوز فى أى نوع من أنواع الترجمة لأن حق كلمة (هذا) أن يشار بها الى القريب وهو الترجمة لا الى الاصل البعيد ولان الاحالة

الى الاصل فى الترجمة القائمة مقام الاصل يصير نقضاً لقيامها مقامه فما اعجب أعجاز القرآن يتحدى مترجميه مع معارضيه وتكون آية التحدى بنفسها آية فى استحالة الترجمة أيضاً بجميع أنواعها وتنتقض بها دعوى امكان الترجمة المعنوية فى جميع الآيات من ناحية الدلالات الاصلية لان ماذكرنا من الاشكال يرد فى ترجمة آية التحدى المعنوية أيضاً وهو اشكال فى دلالتها الاصلية

ثم إنا نقول تمسكا باعترافه بعدم امكان الترجمة الحرفية فى كل آية : من يُعهد اليه تصنيف آيات القرآن من حيث امكان ترجمتها وعدم امكانها ؟ ومن يكون كلامه الفصل فى هذا التصنيف حتى تجوز الصلاة بترجمة الآيات التى تمكن ترجمتها ترجمة حرفية ولا تجوز بتراجم الآيات التى لاتمكن فيها الترجمة الحرفية كما نبه اليه ؟ ثم ماذا يفعل فضيلة الشيخ بترجمة بعض القرآن وماهى بعين المسألة الموضوعة على بساط البحث والدرس فى هذه الآونة والتى ينتظر الناس رأى العلماء فيها أعنى ماحدث فى تركيا وما يريد أن يفعله رجال أنقرة أو فعلوا وهى ترجمة القرآن جملة ووضع الترجمة مكان الاصل فى الصلاة وغيرها واتخاذ مصحف تركى فى مقابلة المصحف العربى العثمانى من غير نظر الى امكان الترجمة أو عدم امكانها فى جميع الآيات أو بعضها ومن غير نظر الى أن الترجمة المعنوية لاتجوز بها الصلاة وانما تجوز بالترجمة الحرفية ومن غير نظر الى أن مذهب أبى حنيفة كذا ومذهب صاحبيه كذا ومذهب غير الاحناف كذا فالترجمة تقام مقام القرآن فى تركيا أمكنت الترجمة أو لم تمكن أو أمكنت فى آيات دون آيات أجاز أبو حنيفة أو صاحباه قراءتها فى الصلاة أو لم يجيزوا ، وبعبارة أخرى جازت الصلاة بالترجمة أو لم تجز فما هى الا حادثة مثل اقامة القانون السويسرى مقام القانون الشرعى أو اقامة الحلف باسم الشرف مقام الإقسام بالله أو اباحة زواج المسلمة من غير المسلم أو تسوية النساء بالرجال فى الميراث فاذا كانت حادثة الترجمة مثل الحوادث الأخرى التى تقدمتها ولم يُسأل رأى العلماء فيها بتركيا ولا أبيح لهم النظر وابداء الرأى فهل

لايكون البحث فى مصر عن جوازها على مذهب أبىحنيفة أو غيره أو الاستدلال عليه بنقل من كتاب الموافقات للشاطبى أو شرح الملتقى لغيره من المذاهب التى ألغيت فى تركيا مع قانون الشريعة والكتب التى نسخت معه من فضول الكلام ؟

نعم لم يُغفل فضيلة الشيخ فى مقاله مسألة المتهم فى دينه واعترف بعدم جواز ترجمته وقراءته من التراجم خلال ذكر الاحتمالات والحال ان الحادثة الزمنية كانت عبارة عنها بعينها والشيخ ذكرها كمسألة استطرادية ومن قبيل جمع الاحتمالات وأفرغ جل جهده على تحرى الجواز والامكان للترجمة بل رجح الترجمة لغير العرب فاذا كان أصحاب الحادثة متهمين فى دينهم فمن أولئك الذين سعى فضيلته كل السعى فى تحرى الجواز لترجمتهم واعداد الافكار فى مصر لاقرارهم عليها ؟ وهل لا يخطر بباله ان ما كتبه يعتبر فتوى الجواز لحادثة الترجمة الانقرية ، وهو يعلم قطعاً ان المقصود منها أن تكون ضربة قاسية على نظم القرآن بعد الضربة على معانيه واحكامه ؟ وان كان لايعلمه — وهو غير خاف على أحد — فذلك جهل أو تجاهل لا يليق بجاه من يريد أن ينفع بعلمه الاسلام فى هذا الزمان

ومحصل القول بالنظر الى النزعة التى لزمت فضيلة الاستاذ من أول مقاله الى آخره ولم تفارقه أيضاً عند نقل أقوال الفقهاء المختلفة أنه أجاز الترجمة ورجح القراءة منها لغير العارفين باللغة العربية واستخرج من كل فرصة هذا الجواز وهذا الترجيح حتى استخرجها من كلام الفقهاء المانعين أيضاً فانظر الى أنه بعد أن نقل عن التجنيس « ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالاجماع لانا أمرنا بحفظ النظم والمعنى فانه دلالة على النبوة ولانه ربما يؤدى الى التهاون بأمر القرآن » وعن فتح القدير « وفى الكافى ان اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفاً بها يمنع فان فعل فى آية أو آيتين فلا فان كتب القرآن وترجمة كل حرف جاز » وعن رسالة الشرنبالى المسماة بالنفحة القدسية فى أحكام القراءة والكتابة بالفارسية قال المحبوبى والخلاف يعنى على الرواية المرجوحة ـ أى على قول الامام المرجوع

عنه ـ فيمن لا يتهم بشيء وقد قرأ في الصلاة كلمة بالفارسية أو أكثر منها أما لو اعتاد قراءة القرآن أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع حتى قال الفضلى من تعمد ذلك يكون زنديقاً أو مجنوناً والمجنون يداوى والزنديق يقتل » وعن الرسالة المذكورة أيضا « وحاصل ما تقدم وملخصه حرمة كتابة القرآن بالفارسية الا أن يكتب بالعربية وتفسير كل حرف وترجمته » فبعد كل هذا وذاك قال فضيلة الاستاذ : « فلدينا في هذه المسألة خلاف أيضاً لكن المحبوبي رحمه الله كشف لنا وجه الحق وأنار لنا الطريق ذلك أنه على الرواية المرجوحة عند الامام كان يجوّز للقادر على العربية أن يقرأ بالفارسية فنبه المحبوبي الى أن هذا الجواز عند الامام فيمن لا يتهم بشيء وقد قرأ في الصلاة بالفارسية كلمة أو أكثر أما الرجل المتهم بالعبث بالقرآن والمتهم بالزندقة والالحاد فلا يترك على عبثه يقرأ الترجمة وهو قادر على العربية » والظاهر أنه أراد القادر على قراءة القرآن العربي ثم قال : « وكذلك الرجل الذى يفهم العربية ويعتاد القراءة بالفارسية » وبقي من لا يفهم العربية ولكنه يقدر على قراءة القرآن العربي ان اعتاد القراءة بالفارسية خارجاً عن كلامه وخارجا عن المنع ثم علل كلامه السابق بقوله : « فان حالته هذه تدل على الجنون أو الزندقة لانه ليس من اللائق برجل يعرف العربية ويحترم النظم العربي ويعتقد اعجازه أن يتركه الى التراجم » وبقي في هذا المحل أيضاً من لا يعرف اللغة العربية ولكن يقدر على قراءة القرآن العربي « فالذى يتركه وهو على هذه الحالة اما مجنون أو زنديق أما الاجماع الذى في عبارة التجنيس فقد عرفت قيمته بنقل صاحب الفتح عن الكافي على أن عبارة التجنيس تشير أيضاً الى ما في كلام المحبوبي فان الذى أمر بحفظ اللفظ والمعنى هو القادر على حفظ اللفظ والمعنى والذى يتهاون بأمر القرآن اذا كتب بالفارسية هو الذى يعرف الكتابة بالعربية ويقدر على القراءة بها أما الاعجمي الذى لا يقدر على الكتابة بالعربية وعلى القراءة والفهم بها فانه يتهاون بأمر القرآن اذا لم يبحث عما يستطيعه منه فاذا لم يستطع الا معناه وتدبر

معناه وجب عليه أن يحرص على ما يقدر عليه » يعنى يجب عليه أن يكتب الترجمة ويقرأها فزاد فى تصوير المسألة على عدم قدرة القراءة عدم قدرة الفهم ووضع عدم قدرة الفهم تارة موضع عدم قدرة القراءة وجمع بين العجز عن أداء القرآن بالعربية وعن النطق بالعربية وعن الفهم بالعربية فى قوله « وعلى هذا فكل مسلم عاجز عن أداء القرآن بالعربية وعن النطق بالعربية وعن الفهم بالعربية يستطيع أن يقرأ ترجمة القرآن للعظة والهداية والتدبر ويصلى بها وجوباً ان لم يعرف شيئاً من العربى وله أن يضمها الى النظم العربى اذا كان حسن القصد » والفقهاء الذين نقل فضيلة الشيخ عنهم لم ينظروا فى القدرة والعجز الا الى القدرة على القراءة والعجز عنها ولم يذكروا للعاجز عن الفهم حكما خاصاً فى الصلاة وفى خارج الصلاة لكن الشيخ يُعْنى بمسألة فهم العربية ويرجح للعاجز عنه أن يقرأ الترجمة خاصة فى خارج الصلاة وأن يضمها الى القرآن العربى فى الصلاة ويخص المنع عن قراءة الترجمة بأحد رجلين رجل يتهم بالعبث بالقرآن أو رجل يقدر على قراءة القرآن ويفهم معناه أما غير المتهم العاجز عن فهم القرآن لا عن قراءته فهو عنده مختار قراءة الترجمة ويعتادها طبعاً مع أن هذا يناقض صراحة ما نقله عن المحبوبى من قوله « والخلاف فيمن لايتهم بشىء وقد قرأ فى الصلاة كلمة بالفارسية أو أكثر منها ، أما لو اعتاد قراءة القرآن أو كَتَبَ المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع حتى قال الفضلى من تعمد ذلك يكون زنديقاً » يعنى سواء كان من اعتاد القراءة بالفارسية أو كتب مصحفاً فارسياً متهما بشىء أو غير متهم فاهماً بالعربية أو غير فاهم وسواء كانت قراءته فى الصلاة أو خارجها فالجواز في كلام الفقهاء على قول أبى حنيفة المرجوع عنه مقصور على قراءة غير المتهم فى الصلاة كلمة أو أكثر من كلمة بالفارسية أما اعتياد قراءة الفارسية فممنوع مطلقا أشد المنع للمتهم وغيره الفاهم العربية وغيره للمصلى وغيره والمنع فى المتهم أعم للقراءة القليلة والقراءة المعتادة فبين ما يفهم من كلام الفقهاء الذين نقل عنهم وبين ما يميل اليه فضيلة الشيخ تباين ظاهر فهو يخالفهم فى حين أنه ينقل عنهم للاستدلال بكلامهم والعجب منه أنه يصرح فى

مقاله بأنه لا يرجح بقاء الامام على رأيه الذى روى رجوعه عنه وانه يرى ما رآه صاحباه من وجوب قراءة النص العربى للقادر عليه ثم تراه فى خلال كلماته يذهب مذهبا أبعد ممـا ذهب اليه الامام ورجع عنه لأن الامام ـ حتى فى قوله المرجوع عنه ـ لا يجوّز اعتياد القراءة بالفارسية كما علمت من نصوص الفقهاء المتكلمين على مذهبه وفضيلة الشيخ يجوّز اعتياد القراءة بالتراجم بل يرجحه لغير فاهم العربية وهذا مفترق ومتباعد عن رأى الامام بمرحلتين وعن رأى صاحبيه الذى يقول عنه الشيخ أنه يرتئيه بمراحل[1] ثم ان الامام فى رأيه الذى رجع عنه يجوّز القراءة بالفارسية لمن يجوزها مع الـكراهة وقد نبه اليه فقهاء مذهبه قال فى النهاية « حاصل الخلاف أن أبا حنيفة يجوّز ويكره وعندهما لا يجوز الا اذا كان لا يحسن العربية وعند الشافعى لا يجوز أصلا » وفى المحيط البرهانى « اذا قرأ فى الصلاة بالفارسية جاز قراءته عند أبى حنيفة سواء كان يحسن العربية أو لا يحسن غير أنه ان كان يحسن العربية يكره وهذا قول أبى حنيفة وقال أبو يوسف ومحمد ان كان يحسن العربية لا يجوز » . وفى الهداية : « يجوز على قول أبى حنيفة ويصير مسيئاً لمخالفته السنة المتوارثة » وفضيلة الاستاذ لم يذكر فى مقاله هذه الكراهة والاساءة التى فى قول الامام المرجوع عنه بل نص على الجواز فقط واذا نحن لم نغفل تقييد الجواز بالكراهة والاساءة فيفترق مذهب الاستاذ عن مذهب الامام الذى رجع عنه بثلاث مراحل وعن مذهبه الذى رجع اليه وادعى فضيلتـه أنه

---

(١) ولا يحتمل لان يكون منشأ غلط فضيلة الاستاذ فى ادخال فهم المعنى فى نصاب القدرة واقامة العلم بلغة العرب مقام القدرة على قراءة القرآن قول الفقهاء عند ذكر القادر أو العاجز « القادر على العربية أو العاجز عن العربية » لان موصوف العربية المحذوف فى كلامهم انما هو القراءة لا اللغة فمرادهم القادر على القراءة العربية أو العاجز عنها لا القادر على اللغة العربية أو العاجز عنها اذ المقام مقام القراءة ولذا صح حذفه لظهوره وربما صرحوا بهـذا الموصوف المحذوف كقول صاحب البدائع عند تحرير الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه والشافعى فى هـذه المسألة : « ثم الجواز كما يثبت بالقراءة العربية يثبت بالقراءة الفارسية عند أبي حنيفة سواء كان يحسن العربية أو لا يحسن وقال أبو يوسف ومحمد الخ »

مذهبه بار بع. فهذا تحقيق مذهب الامام الذى طنطن به مروجو ترجمة القرآن بعصر اجازة لاحقة بما حدث فى تركيا

وهذا فى حق القراءة أما كتابة المصحف بالفارسية عندفقهاء مذهب الامام على ما نقل عنهم فهى ممنوعة بالاجماع أشد المنع ان كان مستقلا ومجردا عن النص العربى ومع النص العربى على الخلاف فصاحب التجنيس منعها أيضا وصاحب الكافى أجازها بشرط أن يكتب القرآن ويكتب تحته تفسير كل حرف ونظر الفقهاء فى ذلك على اختلاف آرائهم متوجه الى عدم الاخلال بحفظ القرآن لأنا مأمورون بحفظ اللفظ والمعنى لكونه دليل النبوة فاهتموا بأن لاتكون الكتابة بالفارسية مؤدية الى الاخلال بحفظ الاصل المطلوب حفظه وأن لا تكون مؤدية الى التهاون بأمره فمن منع كتابة المصحف بالفارسية وأطلق فى المنع أراد ذلك ومن أجاز واشترط كتابة الاصل العربى مع الترجمة أراد ذلك وفضيلة الاستاذ يقول انه يرجح قول صاحب الكافى أى الجواز المشروط لكن ما الفائدة فى كتابة الاصل مع الترجمة بعد أن رجح الاستاذ للاعاجم قراءة التراجم فترجيحها لهم يسوقهم الى اعتياد قراءتها الذى منع عنه الفقهاء أشد المنع واعتياد قراءة التراجم يؤدي بهم الى اهمال الاصل العربى وهذا هو الاخلال بحفظ القرآن والتهاون بأمره اللذين يحذرهما الفقهاء لكن من الغريب المدهش أن الاستاذ يأخذ كلام التجنيس الذى أصاب المحز فى مسألة ترجمة القرآن وكشف عن داء هذه الفتنة الزمنية فيفسره بغير ما أراد به قائله وفهم عنه الناس ويرهقه على ضد المراد المفهوم حتى يستخرج منه أيضا ترويج التراجم وترجيحها للاعاجم على النظم العربى حيث يقول وقد نقلنا عنه سابقا فذكره اهتماماً بشأن إغرابه : « على أن عبارة التجنيس أيضا تشير الى ما فى كلام المحبوبى فان الذى أمر بحفظ اللفظ والمعنى والذى يتهاون بامر القرآن اذا كتب بالفارسية هو الذى يعرف الكتابة بالعربية ويقدر على القراءة بها أما الاعجمى الذى لايقدر على الكتابة بالعربيـة

وعلى القراءة والفهم بها فانه يتهاون بامر القرآن اذا لم يبحث عما يستطيعه منه فاذا لم يستطع الا معناه وتدبر معنـاه وجب عليه أن يحرص على مايقدر عليه » وكان يكفى فضيلة الاستاذ مفها بان عبارة التجنيس تأبى تفسيره هذا قوله « يؤدى الى التهاون ... » وما ذكره من كتابة من يعرف كتابة العربى وقراءته وفهمه بالفارسية تهاونٌ بامر القرآن بالفعل لا فعل يؤدى الى التهاون وعلى تفسيره يبقى من كتب بالفارسية وهو قادر على كتابة العربى وقراءته لا على فهمه خارجا عن البحث ولا يعد متهاونا مع أنه داخل فى مراد صاحب التجنيس وفعله يؤدى الى التهاون بامر القرآن ومثل ذلك الرجل أعنى القادر على كتابة القرآن العربى وقراءته غير فهم المعنى اذا كتب القرآن العربى يعد متهاونا على تفسير الاستاذ من ناحية حفظ المعنى الذى يستطيع حفظه لو كتبه بالفارسية ولم يقل به أحد من الفقهاء ويدخل فى المذنبين بذنب هذا التهاون أكثر كتّاب المصاحف من المسلمين الذين اهتموا قديما وحديثاً بكتابتها راجين من الله الثواب الجزيل وأكثر المصاحف القيمة الموجودة فى أيدينا آثار أقلام كتّاب من هذا القبيل حتى المصحف الذى كتبه الخطاط البارع الشيخ عبد العزيز التركى وطبع فى مصر يعد من تلك الآثار ومن الذنب أن نعتبر أولئك الخطاطين مذنبين متهاونين بامر القرآن لعدولهم عن كتابة التراجم الى كتابة القرآن العربى ومراد صاحب التجنيس من تلك العبارة التى صرفها الاستاذ عن موضوعها ولم يحتفظ بمعناها وهو مروج المعنى ومرجحه على اللفظ أنه اذا لم يُمنع من كتابة القرآن بالفارسية واعتادها الناس فان ذلك يؤدى الى إهمال القرآن العربى وذلك مخل بحفظ القرآن لان ما أهمل يكون عرضة للضياع ونحن مأمورون بحفظ القرآن بلفظه ومعناه لانه دليل النبوة وربما يؤدى ذلك أيضاً الى التهاون بأمر القرآن لان ما أهمل وانصرف وجوه الناس الى غيره يستهان بأمره عادة ولا يعتنى بشأنه

هذا مراد صاحب التجنيس وهو ظاهر لكل أحدينظر عبارته المنقولة ما لم يعتل نظره بعلة الدعاية لترجمة القرآن

وأما قول فضيلة الاستاذ « وفى الحق أننا ننظر الى الامم بعين الخيال ولا نعتبر الواقع وطبيعة الناس فهذه دولة الفرس دخلت الاسلام فى عهد شبابه ولكنها لم تنسلخ عن لغتها والامة التركية كانت دولة الخلافة فيها وكانت حامية الاسلام واختلطت بالامم العربية ومع ذلك فهى باقية على لغتها . . وفى مركز أسوان فى القطر المصرى أجناس مختلفة لهم لغات مختلفة . والحاكم يحتاج الى مترجمين لاقوالهم وكذلك فى بلاد السودان فى وسط القبائل العربية أجناس مسلمة تحافظ على لغاتها المنحطة ، ولا تعرف إلا قليلا من العربية مع الخلطة فى المرافق ومع الجوار واتحاد الحكومة والحكام ، كل هذا حاصل والناس طامعون بعد فى تعريب الامم المختلفة من هنود وجاويين ويابانيين وصينيين وأتراك وجراكسة ، وطامعون فى أن يصيروهم علماء فى اللغة يصلون بعلمهم الى الاجتهاد والاستنباط من نظم الكتاب العربى » فحشوٌ مفسد فى بحث ترجمة القرآن ومغالطة فى نقاش المانعين عنها كأنه يعيب بمثل هذا الحشو على المانعين من ترجمة القرآن واقامة التراجم مقام الاصل تتلى فى الصلوات وغيرها فالذين يرجحون اجتماع الاقوام المسلمة فى جامعة القرآن العربى يريدون تعريبهم فى نظر فضيلة الاستاذ ويسعون وراء الخيال المستحيل الحصول ولو كان اجتماعهم فى جامعة القرآن العربى خيالا ومحالا كما يقوله لما حصل هذا الاجتماع ودام طولَ تاريخ الاسلام الى يوم أحدثت فتنة الترجمة . ومن يطمع فى تعريب من أحصاهم الاستاذ من الاقوام المختلفة وتصييرهم علماء فى اللغة العربية واصلين بعلمهم الى رتبة الاجتهاد والاستنباط من القرآن العربى ؟ وما حاجة الاسلام الى أن يكون المسلمون كلهم علماء مجتهدين ؟ وانما يكفيه أن يكونوا مسلمين مخلصين ، والذى

نطمع فيه و ننتظره منهم أن يتعلموا القرآن العربيّ ليقرأوا فى الصلاة ماتيسر منه وجوبا وفى خارج الصلاة ماشاؤا تنفلا و ليس هذا من تعريب الاقوام ولا من ارادة المستحيل فى شىء و ننتظر أيضاً أن ينفر من كل قوم منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم كما وقع فى قرون الاسلام الماضية ومن أراد اليوم أن يتفقه فى الدين و يكون عالماً مجتهداً قادراً على استنباط الاحكام من الكتاب و السنة فعليه أن يتعلم لغة القرآن و يستسهل الصعب لأن رتبة الاجتهاد لاتنال بلا جهد ولذا لانطمع أن يكون جميع المسلمين كذلك . نعم ان فضيلة الاستاذ يطمع فى تصيير كل المسلمين من غير العرب مجتهدين فى الكتاب والسنة بواسطة التراجم من غير أن يعلموا و يتعلموا الكتاب و السنة و يريد أن يجعل لكل قوم قرآناً فيختلفوا من بعد ما اتفقوا و يكونوا من الذين قال عنهم القرآن الكريم « تفرقوا و اختلفوا من بعد ماجاءهم البينات »

ومن أقوال الاستاذ التى لايلتئم ظاهرها مع بطنها قوله عن نفسه انه لايرجح بقاء الامام أبى حنيفة على قوله الذى روى رجوعه عنه فى جواز قراءة القادر على العربية بالفارسية فى الصلاة ثم نراه يسعى فى تعليل رواية الرجوع فيقول « فان رواية الرجوع نسبت مرة الى أبى بكر الرازى و نسبت مرة الى نوح بن مريم وعلى بن الجعد و أغفلت مرة فى كتب الامام محمد وأغفلت فى شرح المبسوط للسرخسى ، وفى كتب قاضيخان أفيمكن أن نثق بهذه الرواية وثوقا مطلقاً أم ينبغى أن نقابلها بشىء من التحفظ لان المقدمين من صدور المشايخ لم يشيروا اليها » مع أن نسبة الرواية الى أبى بكر الرازى لاتنافي نسبتها الى نوح بن أبى مريم وعلى بن الجعد ولا ينفى صحتها اغفال بعض المتقدمين تلك الرواية ما لم يتكلموا عليها ولم يكذبوها ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، على أن السرخسى ان أغفلها فى المبسوط فلم يغفلها فى المحيط وفى شرح الجامع الصغير وقاضيخان مع اغفال رواية الرجوع اختار قول الامامين على قول الامام ، فهناك رواية الرجوع التى

اعتمد عليها الثقات وهناك اختيار قول الامامين الذى اشترك فيه من أغفل رواية رجوع الامام مع من لم يغفل وهناك مع كل ذلك ضعف قول الامام ذاك جداً فاما أن يكون راجعاً عن قوله أو مخطئاً فيه و هو غير معصوم كما سيأتى تحقيقه . قال فى التحقيق شرح المنتخب : قد صح رجوع أبى حنيفة الى قول العامة رواه نوح ذكره فخر الاسلام فى شرح كتاب الصلاة وهو اختيار القاضى أبى زيد و عامة المحققين انتهى ، و فى الهداية وعليه الاعتماد و فى محيط السرخسى ذكر أبو بكر الرازى أنه رجع الى قولهما فى القراءة وعليه الاعتماد انتهى . لكن فضيلة الاستاذ لو كان فى قدرته رجع الامام عن رجوعه لفعله و ماله و لقول الامام ذلك فان مذهب الاستاذ فى ترجمة القرآن يخالفه أيضاً و يجاوزه الى أبعد منه بمراتب كما سبق

قراءة الترجمة مع القرآن

و من الغرائب التى امتاز بها مقال فضيلة الاستاذ أنه أحدث ضم شيء من الترجمة الى القرآن العربى للقادر على قراءته فى الصلاة و استخرجه من عصارة أقوال الفقهاء فيمن قرأ الترجمة قادراً على قراءة القرآن هل تفسد صلاته أم لا وهل الخلاف بين قول الامام المرجوع عنه و بين قول صاحبيه فى الفساد أو الاعتداد وعلى الثانى لا تكون قراءة الترجمة على قولهما مفسدة للصلاة ولا معتداً بها من القراءة فانتقل فضيلة الاستاذ من عدم الاعتداد و توصل به الى أن يجعل ضم الترجمة الى القرآن أمراً معتداً به و مرغوباً فيه فقال : « و على هذا فكل مسلم عاجز عن أداء القرآن بالعربية و عن النطق بالعربية وعن الفهم بالعربية يستطيع أن يقرأ ترجمة القرآن للعظة و الهداية والتدبر و يصلى بها وجوباً إن لم يعرف شيئاً من النظم العربى وله أن يضمها الى النظم العربى اذا كان حسن القصد » و مقصوده من هذا الضم يحتمل أن يكون إطالة القراءة فى الصلاة ممن لا يعرف من القرآن إلا القدر المفروض ،

وربما صرح بهذا المقصود فى مختتم مقاله وعندنا أن الوقت الفاضل عن قراءة القدر المفروض أولى به أن يخصصه لتعلم ما زاد عن ذلك القدر من القرآن من أن يخصصه لاطالة القراءة بشيء من الترجمة و يجعل الصلاة صلاة مختلطة ، ويحتمل أن يكون مقصوده من ضم الترجمة الى القرآن قراءة شيء مما يفهم معناه وهو قادر على اطالة القراءة من القرآن غير فاهم معناه ومذهب الاستاذ فى الاهتمام بفهم المعنى يسع هذا الاحتمال ما لم يكن ضم الترجمة الى القرآن يفسد الصلاة وقد سبق منا الكلام على فهم المعنى فالاستاذ يميل بكل وسيلة الى أن يجعل لصلاة الاعاجم حظا من الترجمة حتى صلاة القادرين منهم على قراءة القرآن العربى ولا يتأمل فى أن الترجمة ليست بقرآن وقراءتها تحتمل أن تكون مفسدة كما ذهب اليه بعض الفقهاء ومنهم قاضيخان فى فتاواه وشمس الائمة السرخسى فى أصوله و الاتقانى فى غاية البيان فالاحتياط على الاقل قاض بعدم قراءتها بل نقول ان مذهب الامام أبى حنيفة وان وسع الشروع فى الصلاة والذكر فيها بغير اللغة العربية والأذان والاقامة والاجابة كذلك مع مخالفة صاحبيه فى كل ذلك للقادر على العربية ومع ترجيح الفقهاء قولهما ورواية رجوع الامام التى مشى عليها الثقات فى القراءة و بعضهم فى الشروع أيضاً ومع ان الجواز عنده لايخلو عن الكراهة والبدعية والاساءة فى جميع تلك المسائل كما نبه عليه صاحب آكام النفائس ووسع مذهب صاحبيه ضم القراءة بالترجمة على القراءة بالعربية على رأى بعض الفقهاء القائلين بعدم الفساد وعدم الاعتداد مع لزوم الكراهية فيه أيضاً ، فالمسلمون لم يدخلوا فى الصلاة لاقراءة ولا ذكراً بغير العربية واتفق فيه الأحناف مع غيرهم ولم يعملوا بما كانوا يجدونه فى مذهبهم لو تحروه من الجواز ولو على بعض الاقوال ولو مع الكراهة وما عنّ ذلك التخليط فى الصلاة و بعبارة أخرى تغيير صلاة الاسلام والتفريق فيها بين الأقوام الا الملاحدة أنقرة بمقصدسيء فدل ذلك على ان مذهب المنع أسلم وأحمى لمصلحة الاسلام فواجب العلماء أن يعنوا بدرس الأحوال ولا يخبطوا فى آثار قيل وقال و ينظروا فى أحداث الزمان بالتحديق

ويسدوا أبواب الفتن على وجوه الخائنين المتلاعبين بالاسلام والمسلمين لا أن يُعدوا لهم سنداً من المذاهب الاسلامية ويعبّدوا لهم طريق الزيغ والفسادوالمذاهب فى الاسلام يُذهب اليها لخدمته ومصلحته وهما غاية كل متحنف أو متشفع أو غيرهما فلا يتردد عالم حنفى أن يفتى بمذهب الشافعى اذا رأى مصلحة الاسلام فى أى مسألة عند مذهبه وفيه ارضاء روح أبى حنيفة ولا يتردد عالم شافعى أو مالكى أو حنبلى أيضاً أن يفتى بمثل ذلك ولا تعظم فى عين أحد منهم مخالفة امامه عِظَمَ مخالفة مصلحة الاسلام وبذلك يرضى امامه عنه

وقد علمت ان جواز القراءة بالفارسية فى مذهب أبى حنيفة المرجوع عنه المقرون بالكراهة مقيد أيضاً بما دون الاعتياد وكذا الكتابة بها أما الاعتياد فى القراءة أو الكتابة فممنوع عنه أشد المنع وتصريحهم بهذا المنع فوق مايقتضيه الاصرار والاستمرار على المكروه ومنه يعلم ان جواز ضم القراءة بالفارسية على العربية غير المعتد بها فى مذهب الامامين يلزم أن لايبلغ درجة الاعتياد لان اعتياد القراءة بالفارسية اذا كان ممنوعا فى مذهب الامام المرجوع عنه فمنعه فى مذهب صاحبيه أولى ويلزم أيضاً أن يكون جواز القراءة بالفارسية للعاجز عن قراءة القرآن العربى على مذهب الامامين الذى هو مذهب الامام أيضاً بعد رجوعه عن قوله الاول مخصوصاً ومقيداً بمدة قصيرة يتعلم فيها القرآن العربى لان اعتياد القراءة بالفارسية ممنوع أشد المنع ولا يقال ان المنع خاص بالقادر وهذا عاجز لانا نقول العجز المدام عمداً مع القدرة على ازالته لايعد عجزاً لأنه عجز القادر وانما العجز ما يكون بالاضطرار لا بالتعمد ومن هذا يعتبر العجز عذراً ولو كانت فى هذا العجز المتعمَّد معذرة للعاجز لذهب منع الفقهاء من اعتياد القراءة والكتابة بالفارسية عبثاً ولم يف ما حاولوا به من سد ذريعة الاخلال بحفظ القرآن بلفظه ومعناه

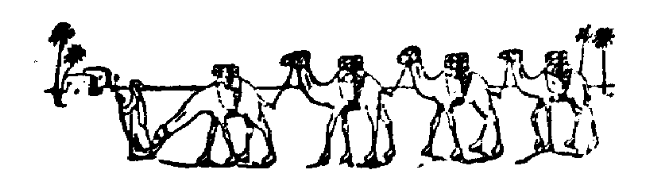
فعند التدقيق يقتصر فرق مذهب الاحناف من مذهب غيرهم على ان من دخل فى الاسلام ولم يمض عليه وقت يتعلم فيه القرآن بقدر مايجزئ المصلى ففى

تلك المدة التى لا تزيد على يوم أو يومين هل له أن يقرأ الترجمة بدل القرآن ان تعلمها قبله و حفظها قبل حفظه ـ اذ التراجم أيضاً تحتاج الى التعلم والحفظ حتى انها لا تبقى فى الذاكرة بقاء القرآن ـ أو ليس له أن يقرأ بل يسبح و يهلل أو يسكت فذهب الأحناف الى الاول وذهب غيرهم الى الثاني ثم اختلفت آراء الاحناف فبعضهم قال بوجوب قراءة الترجمة و بعضهم بكون قراءتها أولى و بعضهم بكون الاولى عدم قراءتها وان منهم من جعل القدرة على قراءة الترجمة كلاقدرة وألحق صاحبها بالأمى فلم يجوز قراءتها وحكم بفساد صلاته اذا قرأها أمراً ونهياً أو قصصاً وهو اختيار الكمال بن الهمام فى التحرير وتبعه الشرنبلالى فى النفحة القدسية وان انتقد فضيلة الاستاذ المراغى هذا الاختيار على ابن الهمام و قال انه لا يعد رأياً فى مذهب أبى حنيفة ونحن ننقل انتقاده ونتكلم عليه فيما يأتى و كل هذه الاقوال مخصوص بيوم أو يومين يمضيهما حديث عهد بالاسلام وهو غاية فرق مذهب الاحناف من غيرهم

بل نقول ان من دخل فى الاسلام لا يعلم فى العادة شيئاً من القرآن ولا ترجمته ويحتاج الى التعلم والحفظ فى كل منهما فاذن ماذا يكون الواجب عليه ؟ تعلم ما يجزئه فى صلاته من القرآن أو تعلم ما يجزئه من الترجمة ؟ فلا جرم ان واجبه تعلم القرآن لا ترجمته لان الترجمة ليست قرآناً وتعلمها لا يغنيه عن تعلم القرآن فى أى مذهب لكونه ممنوعا من الاستمرار على قراءتها فمهما كان فهو محتاج الى تعلم القرآن فيتقدم وجوب تعلمه على وجوب تعلمها و يسقط المتأخر بالمتقدم فلا تجد الصلاة بالترجمة على مذهب الاحناف محل تطبيق سوى من فرض دخوله فى الاسلام حاضراً عنده علم ترجمة القرآن و حفظها وهو لا يكاد يوجد فى العادة و بهذا البيان تتم خيبة دعاة الترجمة و ينقطع دابر آمالهم من مذهب أبى حنيفة وصاحبيه و ربما لا تبخل كلمات الفقهاء عن الاشارة الى ما قلنا حيث قالوا ان القدرة على قراءة غير العربية كلاقدرة ولا يخرج بها عن كونه أمياً فيصلى صلاة الامى بلا قراءة

ويجب عليه تعلم القرآن العربى كما ذكره الشرنبلالى فى النفحة القدسية وهو موافق لاختيار الكمال بن الهمام فى التحرير وان لم يرتضه فضيلة الاستاذ مرجحاً ما قاله قاضيخان وصاحب الخلاصة من انه اذا تعلم تفسير سورة من القرآن بالفارسية يخرج من أن يكون أمياً ولا تجوز صلاته الا بقراءة ما يعلم وفى معراج الدراية ان قراءته أولى ومنهم من قال الاولى عدم قراءته والفقه مع القول الأول أو على الأقل مع القول بأن عدم قراءته أولى لان علم الفارسية التى ليست بقرآن لا يغنيه عن وجوب تعلم القرآن لعدم جواز الاستمرار على قراءتها كما عرفت من ممنوعية الاعتياد بها فلا يخرجه علم الفارسية عن كونه أمياً فلا تجب عليه قراءتها كما لا تجب القراءة على الامى ولو خرج بعلمها عن الامية لجازله الاكتفاء به ولم يجب عليه تعلم القرآن وخروجه عن الامية من حيث وجوب قراءتها فى الصلاة وعدم خروجه بالنظر الى وجوب تعلم القرآن غير معقول

وخلاصة الكلام ان اهتمام الفقهاء بقضية الاعتياد بقراءة الفارسية أو كتابتها ومنعهم عن ذلك أشد المنع حال كون القارىء أو الكاتب فى وسعه أن يتجنب اعتيادها ويتعلم قراءة القرآن العربى أو كتابته يحسم مادة الفتنة الزمنية ولا يغادر لمروجى الترجمة متكأ فى مذهب أبى حنيفة وحده أو مع صاحبيه . وبفضل تلك القضية يتقرب مذهب الاحناف الى مذهب غيرهم من الائمة الثلاثة تمام التقرب ويذهب شكر فضيلة الاستاذ المراغى لفقهاء الحنفية بقوله « وفى الحق أن فقهاء الحنفية هم الملجأ دائماً فى حل المعضلات الاجتماعية ولا نستطيع ان نفيهم حقهم من الثناء » ادراج الرياح لكونه فى غير محله وانما نحن المدينون بشكر أولئك الفقهاء لا فضيلة الاستاذ . والحمد لله على توفيقه لتحقيق المقام



٢

النظرة الخاصة بقول صاحب البدائع

تكلمنا فى النظرة السابقة مع فضيلة الاستاذ المراغى ، وخصصنا هذه النظرة للكلام على قول صاحب البدائع . الا أنه اذا اقتضت الحاجة نعرج فى خلال البحث على التكلم مع أحد الاستاذين أيضاً ، واتضح من النظرة الاولى أن فتنة الترجمة الزمنية لا يصح بناؤها على قول أبى حنيفة أو صاحبيه فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة للقادر على قراءة القرآن أو العاجز عنها . وفى هذه النظرة سنبين إن شاء الله ضعف قول الامام ذاك وقول صاحبيه بالنسبة الى أقوال الائمة الثلاثة فبينا فيما تقدم عدم استقامة اسناد فتنتهم الى مذهب الاحناف ونبين هنا أن هذا السند ضعيف فى حد ذاته وواجب المفتى أن يدور مع الدليل

ثم لايخفى أن قول صاحبى الامام المخصوص بالعاجز عن قراءة القرآن لايتمشى قطعاً مع فتنة الترجمة الزمنية التى أراد محدثوها أن يرهقوا بها شعباً متعوداً قراءة القرآن العربى منذ الف سنة كشعب الترك وانما يتمشى معها إن تمشى قول الامام العام للقادر والعاجز وقوله أضعف الاقوال فى هذه المسألة ولذا رجع عنه ، لكن صاحب البدائع التزم قول الامام وسعى لاظهاره على قول غيره وعلى قول صاحبيه وأغفل رواية رجوعه الى قولهما فكان خليقاً أن يعد أشد المظاهرين الثلاثة لمسألة الترجمة لان الاستاذين لم يقطعا بالانحياز الى قول الامام كقطع صاحب البدائع وترددا بين قوله وقول صاحبيه وقطع هو أيضاً بأن القرآن اسم للمعنى ولم يقطع به فضيلة الاستاذ المراغى بل قال « فقد علمت أن العلماء رجحوا

أن القرآن اسم للمعنى والنظم عند أبى حنيفة » ولم يرد صاحب البدائع أن يسلم سلب اسم القرآن عن الفارسية كما ستعرفه وفضيلة الاستاذ قال « و بعد فان الترجمة لا تسمى قرآناً على أى وجه كانت وانها أجيزت الصلاة بها للقادر عند أبى حنيفة على رأيه المرجوح رخصة » فظهر أن صاحب البدائع ألد الخصوم . ومما يجب أن ينبه اليه أن صاحب البدائع ما فعل هذا بدافع التجديد الذى استولى على عقلية الاستاذين وانما فعله بدافع الغيرة على مذهب امامه ولو كان فى عصرنا وشاهد فتنة الترجمة لرجع عن التعصب لمذهب الامام كما رجع الامام نفسه من قبل ، وها نحن نشرع فى نقل كلام صاحب البدائع وسنتعقب كل قطعة منه بتعليقة :

قال رحمه الله : « ثم الجواز كما يثبت بالقراءة العربية يثبت بالقراءة الفارسية عند أبى حنيفة سواء كان يحسن العربية أو لا يحسن وقال أبو يوسف ومحمد ان كان يحسن لا يجوز وان كان لا يحسن يجوز . وقال الشافعى لا يجوز أحسن أو لم يحسن واذا لم يحسن العربية يسبح و يهلل عنده ولا يقرأ بالفارسية وأصله قوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أمر بقراءة القرآن فى الصلاة فهم قالوا إن القرآن هو المنزل بلغة العرب قال الله تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) فلا يكون الفارسى قرآناً فلا يخرج عن عهدة الامر ولان القرآن معجزة والاعجاز من حيث اللفظ يزول بزوال النظم العربى فلا يكون الفارسى قرآناً لانعدام الاعجاز، ولذا لم تحرم قراءته على الجنب والحائض الا أنه » شروع فى بيان دليل الامامين أبى يوسف ومحمد «اذا لم يحسن العربية فقد عجز عن مراعاة لفظه فيجب عليه مراعاة معناه ليكون التكليف بحسب الامكان . وعند الشافعى هذا ليس بقرآن فلا يؤمر بقراءته » بل يسبح و يهلل لحديث عبد الله بن أبى أوفى قال (جاء رجل الى النبى ﷺ فقال انى لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمنى مايجزئنى منه فقال قل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فقال يارسول الله هذا لله فما لى فقال قل اللهم ارحمنى وارزقنى وعافنى واهدنى فلما قام قال هكذا بيده

فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد ملأ يده من الخير) أخرجه أبو داو د فى سننه فى باب ما يجزئ الامى والاعجمى من القراءة وأخرجه النسائى أيضاً الى قوله الا بالله وابن حبان والحا كم وقال صحيح على شرط البخارى . وحديث (ان رجلا جاء الى النبى ﷺ فقال انى لا أستطيع أن آخذ شيئاً من القرآن فعلمنى ما يجزئنى في صلاتى فقال قل سبحان الله و الحمد لله ولا إله الا الله والله أ كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) رواه أبو داود وأحمد والنسائي وا بن الجارود وابن حبان والحا كم والدار قطنى وقوله لا أستطيع الخ تأويله لا أستطيع أن أتعلم شيئاً من القرآن فى هذه الساعة وقد دخل علىّ وقت الصلاة فقال رسول الله ﷺ (قل سبحان الله الخ) فمن دخل عليه وقت صلاة مفروضة و لم يعلم القرآن و علم شيئاً من التسبيحات لزمه أن يقرأها فلا يرد أن من قدر على تعلم هذه الكلمات يقدر على تعلم ما يجزئه من القرآن وحديث رفاعة بن رافع فى حديث المسيء صلاته قال له رسول الله ﷺ (اذا قمت الى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فاقم فان كان معك قرآن فاقرأ والا فاحمد الله وكبره و هلله) رواه الترمذى وأبو داود والحا كم

« وأبو حنيفة يقول : ان الواجب فى الصلاة قراءة القرآن من حيث هو لفظ دال على كلام الله تعالى الذى هو صفة قائمة به لما يتضمنه من العبر و المواعظ و الترغيب و الترهيب و الثناء و التعظيم لامن حيث هو لفظ عربى »

لا نسلم أن سبب وجوب قراءة القرآن فى الصلاة كونه دالا على صفة الكلام لله فكأن المصلى لا يقرؤه لكونه كلام الله و أنه ليس بكلام الله بل لكونه دالا على صفة الكلام ، وهذا كلام بعيد عما علم من الشرع و المنطق لا يقوله الامام أبو حنيفة أما الاول فللاجماع على أن القرآن كلام الله و أما الثانى فان صفة الكلام بينوها بأنها ضد الخرس فى الانسان فهى بمعنى القدرة على التكلم و ليست كلاماً بالفعل فاذا لم يكن القرآن كلام الله فماذا يكون كلامه وماذا يكون معنى كون الله متصفاً بصفة الكلام اذا لم يكن له كلام بالفعل مستند الى تلك الصفة ، بل سبب وجوب

قراءة القرآن فى الصلاة أن الله تعالى أمر بقراءته فيها فلا يقرأ مكانه ماليس بقرآن وإن كان دالا على صفة الكلام لله وإن كان متضمناً للعبر والمواعظ الخ ولو أمر بقراءة غيره لكان الواجب قراءة ذلك الغير ولو لم يكن دالا على صفة الكلام لله أما أن الله تعالى لماذا أمر بقراءة القرآن فتعليل ذلك بمناسبته بصفة الكلام لله متضمناً للعبر والمواعظ الخ تعليل ناقص فلعله أمر بقراءته لكونه كذلك وكونه علاوة عليه دليل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ومعجزته متحدى به الانس والجن فيناسبه كل المناسبة أن نؤمر بأن نجعل لصلاتنا حظا من كتاب نبينا وكونه معجزة له امتاز به على كتب الانبياء ومعجزة أخرى ثبوته عندنا تواتراً وبه يمتاز أيضا على سائر الكتب وقراءته فى الصلوات الخمس تعين على ادامة معجزة التواتر وتناسبها . أما قوله : ان الواجب فى الصلاة قراءة القرآن من حيث هو لفظ دال على كلام الله الخ لامن حيث هو لفظ عربى فنقول فى جوابه : اذا كان الواجب قراءة القرآن وكان القرآن نزل عربيا فلزمت العربية له لا لأن المطلوب كونه عربيا بل ليكون وفق مانزل وليكون قرآنا حتى ان ترجمته بألفاظ عربية غير الالفاظ المنزلة لاتكون قرآنا ولا تقرأ فى الصلاة .

« ومعنى الدلالة عليه لايختلف بين لفظ ولفظ »

هذا غير مسلم وكيف تكون دلالة اللفظ المنزل من السماء كدلالة ألفاظ المترجمين الارضيين ؟

« قال الله تعالى : ﴿ وإنه لفى زبر الاولين ﴾ وقال ﴿ إن هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ﴾ ومعلوم أنه ما كان فى كتبهم بهذا اللفظ بل بهذا المعنى »

وهذا الاستدلال من الضعف بحيث يستبعد أن يكون مذهب الامام مستنداً اليه فان الضمير فى الآية الاولى التى تقدمها التنويه ببعض أوصاف القرآن راجع الى ذكر القرآن فى كتبهم لا الى القرآن ويؤيده مابعد الآية وهو قوله تعالى :

﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل﴾ لأن علماء بنى اسرائيل كانوا لايعلمون القرآن وعلمهم يقتصر على كونه مذكوراً فى كتبهم ولو كان القرآن عبارة عن المعنى وكان هو فى زبر الاولين أو فى صحف ابراهيم وموسى لأغنت تلك الزبر والصحف عن نزول القرآن على نبينا صلوات الله وسلامه عليهم وبطلانه أظهر من أن يخفى . على أن الآية الاولى مسوقة لمدح القرآن والمدح انما يحصل بالتنويه بذكره فى زبر الاولين لا بالتنبيه على اندماجه فيها فارجاع الضمير الى القرآن بدون تقدير مضاف يأباه سياق المدح كل الاباء ويقلبه ذما والآية الثانية لم يسبقها البحث عن القرآن فلا وجه للاستدلال بها على كون القرآن عبارة عن المعنى

« وأما قولهم : إن القرآن هو المنزل بلغة العرب . فالجواب عنه بوجهين : أحدهما أن معنى كون العربية قرآنا لاينفى أن يكون غيره قرآنا وليس فى الآية نفيه »

يريد أن يقول ان الفارسية أيضا قرآن وان لم تكن عربية وهذا كلام فى غاية الضعف والسخف حتى ان عدم كون الترجمة قرآناً اعترف به فضيلة الاستاذ المراغى فقيه دعاة الترجمة اليوم لان القرآن عرفه أئمة الاصول بأنه النظم العربى المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام المنقول تواتراً الثابت فيما بين دفتى المصاحف ولا يصدق هذا التعريف على الترجمة قطعاً وفضلا عن ذلك فان القرآن اسم خاص لكتاب معلوم مؤلف من الالفاظ المخصوصة والكلمات المعينة ككل كتاب سماوى أو بشرى وعلاوة على ذلك فكل كلمة من كلمات القرآن بل كل حرف من حروفه موزونة بميزان التواتر ومطبوعة بطابعه فاذن لامعنى لقول من قال ان كون العربية قرآناً لاينفى أن يكون غيره قرآناً فالقرآن معلوم ومحدد بكلماته وحروفه وغيره ينفى أن يكون قرآناً طبعاً ولو جرينا على عقلية صاحب البدائع وابتدعنا للقرآن تعريفاً جديداً مخالفاً لتعريف الاصوليين وألغينا شرط التواتر فى القرآن وقلنا انه كلام دال على كلام الله الذى هو صفته القائمة به لتكون تراجم القرآن قرآناً لكانت

التوراة والانجيل والزبور قرآناً والاحاديث القدسية قرآناً بل الاحاديث النبوية

غداً قرآناً لكون النبي عليه السلام لاينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى مع ان شيئا من ذلك لايسمى قرآناً وهذا يسلب الوثوق بالاسماء الخاصة وعندنا ان القرآن اسم خاص عرّفه العلماء وعرفه الناس قبل تعريفهم وهو ككل اسم خاص يفيد القطع بمسماه ولا يعم الكتب السائرة المنزلة والاحاديث القدسية والنبوية ولا تراجم القرآن وانما هو الكتاب المنزل على محمد ﷺ وهو من عند الله بلفظه ومعناه فيخرج عنه ما نزل على غيره وما نزل عليه بمعناه فقط . وقوله :

« وهذا لأن العربية سميت قرآناً لكونه دالا على ما هو القرآن وهي الصفة التي هي حقيقة الكلام ولهذا قلنا ان القرآن غير مخلوق على ارادة تلك الصفة لا العبارات العربية »

يقتضي أن لايكون العربية أعني ما عرفه الاصوليون واعتبروه قرآنا قرآنا وانما هو دال على القرآن وهو صفة الكلام لله وهذا عجيب ومن العجب كون القرآن عبارة عن صفة الكلام لله وكون مانحسبه قرآناً ليس بقرآن مع ان القرآن يقرأ ويتحدى به ولا معنى لكون صفة الله مقروءة ومتحدى بها وقد عرفت مما سبق ان صفة الكلام ليست بكلام بالفعل وقد نبه المحقق الكلنبوي في حواشيه على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية الى ان اطلاق الكلام على صفة الكلام التي هي مبدأ التكلم مجاز من قبيل تسمية السبب باسم المسبب والمؤثر باسم الاثر فاذن ان القرآن الذي هو من جنس الكلام لايطلق اطلاقا حقيقيا على الصفة وانما يطلق على النظم المعروف عكس ما ذكره صاحب البدائع والمتكلمون مشوا على ذلك الاطلاق المجازي في بحث صفة الله لما وجدوا في الاثر ان (القرآن كلام الله غير مخلوق) مع كون طرق روايته مقدوحة كما نبه اليه صاحب آكام النفائس وعلى تقدير ثبوته وتسليم اطلاق القرآن على الصفة حقيقة فلا مانع يمنع كون النظم المتحدى به قرآنا ويكون القرآن مشتركا في علم الكلام بين كلام الله بمعنى

الصفة وكلام الله بمعنى النظم المعلوم الذى يعبر عنه بالكلام اللفظى واضافته الى الله لأن الله ألفه ونظمه وليس من تأليفات المخلوقين فكلاهما كلام الله وان كان اللفظى مخلوقا والنفسى غير مخلوق والفرق فى المخلوقية وعدم المخلوقية لايقدح فى اضافة كل منهما الى الله فالنظم المنزل العربى كلام لفظى الهى كالكلام النفسى والتراجم كلام لفظى بشرى وليس بقرآن لابمعنى صفة الله ولا بمعنى انه ليس من تأليفات المخلوقين نعم انها ترجمة القرآن وترجمة كلام الله فالمتكلمون وان فرقوا بين الكلام اللفظى والنفسى من حيث المخلوقية وعدم المخلوقية الا انهم بهذا الفرق لم يكونوا ليقولوا بجواز فك معنى القرآن عن لفظه الذى نزل به ولا ليفرقوا بين لفظ القرآن ومعناه فى القداسة والنسبة الى الله تعالى حتى يجوز بقاء القرآن مع الغاء نظمه كما ادعاه الاستاذ فريد وأنكر قداسة النظم صراحة عند رده على حضرة الاستاذ التفتازانى [1]. والشيخُ المراغى فى ضمن تشبيه النظم بالثوب حيث قال « وعجيب ان تسلب من معانى القرآن صفاتها وجمالها وتوصف بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربى كأن هذا الثوب هو كل شىء » وسيأتى الكلام على هذا القول فالقرآن اطلاقان عند المتكلمين اطلاقه على صفة الكلام واطلاقه على النظم المنزل وعند أهل الشرع له اطلاق واحد على النظم العربى المنزل المتواتر

وكلام المتكلمين أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى قدم الكلام النفسى وحدوث الكلام اللفظى وان غرّ بعض دعاة الترجمة تخيل لهم الاستعانة به فى ترويج فتنتهم الزمنية لكنى ما استكثرت هذا الغرور منهم استكثارى من صاحب البدائع وليت شعرى ما فائدة كون الكلام النفسى بمعنى صفة الله القديمة غير مخلوقة وكون العبارات العربية أعنى نظم القرآن مخلوقة فى مسألة الترجمة

---

(١) أول من هجم على فتنة ترجمة القرآن فى صحف مصر كما ان الاستاذ فريد أول من أوقدها فيها فلكل منهما حق السبق وجزاؤه فى جنس عمله

وجواز الصلاة بالتراجم على مذهب أبى حنيفة فلعلهم يفهمون من كلام المتكلمين ذاك أن ألفاظ القرآن لا اختصاص لها بالله تعالى غير كونها دالة على كلام الله الحقيقى وانها نفسها ليست بكلام الله فيجوز الغاؤها واستبدال كلام البشر بها أو يفهمون ان معنى القرآن كلام الله الحقيقى القائم بذاته تعالى دون لفظه فالعبرة بالمعنى والقداسةُ له وان كانت للفظ أيضا قداسة واختصاص بالله تعالى فانما هى بواسطة المعنى لكونه دالا عليه فيجوز أن يستبدل به دال آخر وكلا هذين المفهومين باطل

أما الاول فقد قال التفتازانى الكبير فى شرح المقاصد بعد توجيه تسمية الكلام اللفظى كلام الله بكونه دالا على الكلام الحقيقى النفسى « لكن المرضىّ عندنا — أى الاشاعرة — أن له اختصاصا آخر بالله تعالى بأن أوجد الاشكال أولا فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) والاصوات فى لسان الملك لقوله تعالى (وانه لقول رسول كريم) أو فى لسان النبى عليه السلام لقوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك) والمنزل على القلب هو المعنى » ولاشك فى أن الاشكال المكتوبة فى اللوح المحفوظ و الاصوات المخلوقة فى لسان الملك أو النبى عليه السلام أشكال وأصوات القرآن العربى . وانى أتمنى أن لايقع دعاة الترجمة فى غلط آخر مما يرون فى آخر كلام شارح المقاصد ، لأن ايجاد ألفاظ القرآن فى لسان النبى عليه السلام بعد انزال معناه على قلبه يلزم أن يكون بعناية خاصة تفترق بها عن كلامه ﷺ وتكون وحيا متلواً وإلا فلا يلتئم مع قوله فى صدر كلامه إن للكلام اللفظى اختصاصا آخر بالله تعالى غير دلالته على الكلام الحقيقى النفسى ولذا رأى أئمة الدين من واجب الأدب أن لايقولوا بمخلوقية الكلام اللفظى لشدة اتصاله بالكلام النفسى غير المخلوق وتحملوا المحن القاسية فى سبيل هذا الواجب ، وبعضهم قالوا : إن القراءة حادثة والمقروء قديم ، وهل يجرى شىء من هذه الاهتمامات فى ألفاظ التراجم . واتفقوا على أن التحدى إنما يتعلق بالنظم الدال على المعنى المؤلف من الكلام اللفظى . وقال التفتازانى أيضا فى شرح

العقائد النفسية «فان قيل لو كان كلام الله تعالى حقيقة فى المعنى القديم مجازاً فى النظم المؤلف لصح نفيه عنه بأن يقال ليس النظم المنزل المعجز المفصل الى السور والآيات كلام الله تعالى و الاجماع على خلافه ، و أيضا المعجز المتحدى به كلام الله تعالى حقيقة مع القطع بأن ذلك إنما يتصور فى النظم المؤلف المفصل الى السور إذ لا معنى لمعارضة الصفة القديمة . قلنا التحقيق أن كلام الله اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم و معنى الاضافة كونه صفة له تعالى و بين اللفظى الحادث المؤلف من السور و الآيات ومعنى الاضافة أنه مخلوق الله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصح النفى أصلا و لا يكون الاعجاز و التحدى إلا فى كلام الله تعالى » فهذا جواب الاشاعرة القائلين بأن القرآن الذى هو كلام الله تعالى و صفته القديمة غير المخلوقة معنى نفسى قائم بالله تعالى وجوابهم فى مقابلة اعتراض النافين للكلام النفسى بأنه يستلزم ان لا يكون الكلام اللفظى المنزل كلام الله وأن يكون المعجز المتحدى به غير كلام الله إذ لا معنى لمعارضة الصفة القديمة والتحدى بها فهذا الجواب من الاشاعرة يدل على أنهم و ان جعلوا الكلام الحقيقى عبارة عن المعنى النفسى ليكون صفة الله فيكون غير مخلوق الا أنهم قائلون بأن الكلام اللفظى أيضاً كلام الله بمعنى أنه ليس من تأليفات المخلوقين فلا يشبه التراجم التى هى من تأليفات المخلوقين و يصح نفى كلام الله عنها ولا يصح نفيه عن الكلام اللفظى المنزل بالاجماع ، فالكلام اللفظى أيضاً قداسة مسلمة عند الاشاعرة و اضافة الى الله تعالى و إن لم تكن من اضافة الصفة الى موصوفها فهو كلام الله أيضاً ان لم يكن صفته

و أما الثانى أى بطلان كون لفظ القرآن دون معناه فى القداسة و النسبة الى الله تعالى فالذين زين لهم هذا الباطل ظنوا أن لفظ القرآن حادث و معناه قديم وأن المراد من الكلام النفسى القديم القائم بذاته تعالى فى كلام المتكلمين معنى القرآن وليس كذلك فان معانى القرآن واجب و ممكنات وجواهر مثل الجنة والنار والسماء و الارض و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و الانعام و الحيوان و أعراض تقوم

بها وليس شيء منهـا باعتبار وجودها الخارجي مما يصح أن يقوم بذاته تعـالى ويكون صفة له قديمة . فان قيل ان معانى القرآن بحسب وجودها فى علم الله تعالى أزلية غير مخلوقة ، قلنا فان نظمه كذلك بحسب وجوده فى علم الله ، ولذا ذهب المحقق الدوانى الى أن كلام الله هو الـكلمات التى رتبها الله تعالى فى علمه الازلى بصفته الأزلية التى هى مبدأ تأليفهـا وترتيبها وهذه الصفة قديمة وتلك الـكلمات المرتبة بحسب وجودها العـلمى أزلية أيضاً بل الكلمات والكلام مطلقـاً كسائر الممكنات أزلية بحسب وجودها العلمى وليس كلام الله الا مارتبه الله تعالى بنفسه من غير واسطة والكلمات لاتعاقب بينها فى الوجود العلمى حتى يلزم حدوثها وانما التعاقب فى الوجود الخارجى » وقول الدوانى توجيه وجيه فى اعتبار مابين دفتى المصاحف كلام الله غير مخلوق بلفظه ومعناه ، غير أن ما أردت أن أقوله هنا من تساوى لفظ القرآن ومعناه فى القداسة والنسبة اليه تعالىلايحتاج الى توجيه المحقق الدوانى بل ذلك التساوى ثابت على مذهب الاشاعرة أيضاً وان وجد فى كلامهم أن كلام الله هو المعنى النفسى القديم واطلاقه على الكلام اللفظى باعتبار دلالته على كلام الله الحقيقى النفسى القائم بذاته ، فربمـا ظن الذين فرقوا بين ألفاظ القرآن ومعانيه فى الاهمية والقداسة أن المراد من هذا المعنى النفسى معنى القرآن المقابل للفظه وهو ظن باطل لما عرفت أن معانى القرآن جواهر وأعراض لايمـكن قيامها بذاته تعالى بحسب وجودها الخارجى كما لايمـكن قيام لفظه به بحسب وجوده الخارجى واطلاق كلام الله الذى هو صفة الله القائمة بذاته على مدلول نظم القرآن يكون مجـازاً من قبيل تسمية المسبب والأثر باسم السبب المؤثر الذى هو صفة الكلام فمعنى القرآن أثر تلك الصفة لانفسها وكذا النظم واطلاق كلام الله عليه كاطلاقه على المعنى يكون مجازاً اذا أريد بالـكلام الصفة القديمة وحقيقة اذا أريد أثرها فهناك أمور ثلاثة لفظ القرآن ومعناه وصفة الـكلام ولا فرق بين الامرين الاولين فى درجة النسبة الى الله تعالى وهى كونهما أثر تأليف الله وترتيبه وانمـا

الفرق للأمر الثالث لكونه صفة الله القائمة بذاته ، ومبدأ ترتيب الامرين الاولين ومن رأى لمعنى القرآن مزية على لفظه فى النسبة الى الله وظن أن المعنى قائم بالله دون اللفظ فقد التبس عليه المعنى النفسى بمعنى القرآن الذى هو مدلول اللفظ أى التبس عليه الأمر الثالث بالامر الثانى ولم يوقظه من خطأه ان الشيخ الاشعرى القائل بالكلام النفسى أوضحه بأنه معنى واحد بسيط يتعلق بالاشياء فى حين أن معنى القرآن أمور عديدة

هذا كله فى باب الصفة وأما فى الاحكام الشرعية فالقرآن عبارة عن النظم العربى المنزل المتواتر وهكذا عرفه أئمة الشرع ليكون حجة قائمة على العباد فى الاحكام التكليفية ولكون دليل الاحكام الشرعية هو اللفظ دون المعنى النفسى القديم ، ومن البعيد جداً أن يكون المراد من القرآن فى قوله تعالى (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) الكلام النفسى الذى هو صفة الله تعالى القديمة إذ لاتتعلق بها القراءة فيكون الأمر بقراءتها عبثاً ، فقرينة الامر بالقراءة وكون المقام مقام تشريع حكم من أحكام الصلاة وأركانها تدل دلالة قطعية على أن المراد بالقرآن فى الآية النظم المعلوم ، وقد قال المحقق كمال الدين بن الهمام وهو من أعلام الحنفية : ان القرآن منكراً يراد به المقروء مطلقاً والقرآن المعرف باللام يختص فى عرف الشرع بالنظم العربى

ثم انه لامحل لأن يستنبط جواز قراءة الترجمة فى الصلاة من تعبير التيسر لاسيما أن مذهب الامام جواز قراءتها للقادر على قراءة القرآن مع ان التيسير إنما يتصور فى حق العاجز ، فتعبير التيسر لاينهض دليلا على قول الامام بل ينهض دليلا على خلافه ولا مِن حمل مَن فى (من القرآن) على التبعيض بناء على أن المعنى بعض القرآن إن لم يكن كله لان القدر الميسور يلزم أن يكون مما يعد قرآناً غير مخرج عن حقيقته ، وحقيقته إما النظم المعلوم الدال على المعنى على أن يكون موضوعا للنظم والمعنى لازم له أو حقيقته المجموع المركب من ذلك النظم ومعناه ، فالمعنى

جزء القرآن وهو يغاير الكل ولا يطلق اسمه عليه كما لا يطلق الماء المركب من الاكسجين والادروجين على أحد جزءيه فاذا جرد المعنى من نظمه الالهى وركب بالنظم البشرى يكون هذا تركيبا مؤلفا من الداخل والخارج الاجنبى ويكون المركب خارجا ولهذا لو مزج القرآن فى صلاته بشىء من كلام البشر تفسد صلاته فى جميع المذاهب مع أن فيه مزج القرآن المتحقق بلفظه ومعناه بكلام البشر ، وفى الغاء لفظه وتركيب معناه بلفظ غير لفظه تغيير ماهيته فيكون مفسداً بالاولى فضلا عما فيه من تغيير أوصافه — أى الاعجاز والتواتر والنزول — وأئمة الدين يبالغون فى بيان وجوب تخلية القرآن عما هو أجنبى عنه فلا يجوّزون حتى إدخال القراآت التى رواها أجلة الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم تبلغ حد التواتر فى المصحف مع أن رواتها رووها على أنها كلام الله المنزل على الرسول ، فما ظنك بالتراجم التى هى عن آخرها كلام البشر غير منزل ولا معجز ولا منقول عن رسول الله ﷺ تواتراً ، فالأئمة قطعوا ونحن نقطع بأن غير المتواتر ليس بقرآن بحيث لا يكفى فى قرآنية أى لفظ أن يحتمل كونه قرآنا ولو صحح ذلك الاحتمال بل يجب أن يكون مما يقطع به ويكفر منكره فان لم يقطع فالخطر فى عد ماليس بقرآن منه كالخطر فى انكار ماهو قرآن فلا يجوز عد الترجمة قرآنا ولو احتمل كونه كذلك مع أنه غير محتمل . ألا يرى أن الشافعية والمالكية اختلفوا فى كون البسملة فى أوائل السور قرآنا فأثبتها الشافعية ونفاها المالكية ، وقال علماء الاصول إن قوة الشبهة تمنع الاكفار من الطرفين . يعنون أنه لولا كانت الشبهة التى تمسك بها المالكية وعدوها دليلا لهم فى النفى قوية فى نظر الشافعية لأكفرهم الشافعية للاجماع على تكفير من ينكر شيئا من القرآن ولولا كانت الشبهة التى تمسك بها الشافعية وعدوها دليلا لهم فى الاثبات قوية فى نظر المالكية أيضا لاكفرهم المالكية للاجماع أيضا على تكفير من يلحق بالقرآن ماليس منه كما فى تحرير ابن الهمام وشرحه التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الحلبى ، ولا شبهة فى أن ترجمة القرآن بالفارسية

أو التركية لايكون موقعها بالنسبة الى القرآن موقع البسملة التى تواتر نقلها فيما بين دفتى المصحف فيخاف على من عدها قرآنا من خطر الكفر . وقول الامام أبى حنيفة الذى رجع عنه لايقوّى شبهة العادّ ، وقد قالوا : انه لم يقل بجواز الصلاة بالفارسية بناء على أن النظم العربي ليس بركن للقرآن عنده بل قال ذلك بناء على أنه ركن زائد فى حق جواز الصلاة خاصة لان النظم العربى مقصود للاعجاز والمقصود من القرآن فى حال الصلاة المناجاة لا الاعجاز فلا يكون النظم لازما فيها ، لكن هذا معارضة النص بالمعنى فان النص طلب العربي فى الصلاة أيضا حيث قال : (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) والقرآن اسم للنظم المنزل وهذا التعليل يجيزها بغيره فيعارض النص ، ولا غرو فى أن يتعلق جواز الصلاة فى شريعة النبى الآتى بالنظم المعجز بقراءة ذلك المعجز بعينه بين يدى رب العالمين . ودفعُ هذا الاعتراض بارادة كون النظم العربي زائداً على مايتعلق به جواز الصلاة معدخوله فى ماهية القرآن يكون دفعا بعين الاشكال لان دخول النظم فى ماهية القرآن هو الموجب لتعلق الجواز به دون غيره

فاتضح مما ذكرنا أن الامام أبا حنيفة لا يليق بمقامه أن يقول ان القرآن موضوع للمعنى فيخرج النظم عن ماهية القرآن مع اتفاق علماء الاصول وفيهم الاحناف على تعريف القرآن بالنظم المنْزل المتواتر ولهذا قال فى شرح المنتخب الحسامى المسمى بالتحقيق لعبد العزيز البخارى « ومنهم من اعتقد أنه اسم للمعنى وزعم أنه مذهب أبى حنيفة » فيظهر أن الامام لم يقل بذاك وانما نسبه اليه بعض فقهاء مذهبه مثل صاحب البدائع استنتاجا من قوله المرجوع عنه فى جواز الصلاة بالفارسية للقادر على العربية ودفاعا عنه بما عرفت أنه ليس بدافع ، وانا نسأل صاحب البدائع هل يعترف بوجوب التواتر فى نقل القرآن أم لا فان اعترف ــ وليس له غير ذلك وهو ميزة كتاب الاسلام التى تقهر أعداءه ــ فان كون القرآن عبارة عن المعنى المدلول عليه بأى لفظ كان لا يتفق مع وجوب التواتر فى نقل

القرآن لان المعنى لا ينقل الا بالالفاظ فيلزم أن تكون ألفاظه متواترة وأن يكون المعنى الذى يعتبر قرآناً معنى تلك الالفاظ لا المعنى الذى جرد عن لفظه وافيد بلفظ آخر والا يزول التواتر بزوال الالفاظ المتواترة ولا يصح أن يقال عن الترجمة أنها متواترة لا من حيث معناها ولا من حيث الفاظها التى هى الفاظ الترجمة فان قيل فليكتف بتواتر النظم العربى فذاك اعتراف بالغاء شرط التواتر فى التراجم مع اعتبارها قرآنا وانما يسلم ويتم شرط التواتر بتحديد ألفاظ القرآن فالعدول الى الفاظ التراجم ينافيه ثم المقصود من ذاك التحديد قطع عروق الشبهة وطريق التحديد المقبول ما يكون بالتواتر فلو تركت الالفاظ المتواترة وكان هذا الترك والعدول الى غيرها جائزاً لكل أحد عند الامام فى قوله الملتزم عند صاحب البدائع حتى انه لا مانع من أن يقرأ العرب فى صلاتهم تراجم القرآن لكونه عبارة عن المعنى ولا مدخل للفظ فيه لضاع التواتر عن ألفاظ القرآن ولما قطع بوجود ذلك فيها فان وجد وجد تطوعا وتصادفا لعدم اشتراط الرعاية بالالفاظ المتواترة وجوباً، فان وجبت المحافظة على التواتر فى ألفاظ القرآن فمن يترتب عليه القيام بهذا الواجب فى قول الامام ذاك ؟ فلا يمكن القطع بمحفوظية الالفاظ المتواترة ما لم يمنع المسلمون عن العدول الى غيرها لان التواتر انما يدوم بدوام اتفاق القارئين على قراءة ألفاظ معينة فعدم وجوب المحافظة على تلك الالفاظ مخل باشتراط التواتر قطعا وقد خفى بعض هذه النكتة على فضيلة الاستاذ المراغى حيث قال : « هب التراجم تغيرت واختلفت فان ذلك التغير وهذا الاختلاف لا يمكن أن ينسحب على القرآن وهو النظم العربى المعروف المحفوظ بوعد الله سبحانه وتعالى[1] » . وقال أيضا : « وانا مع اعترافنا بأنه لا يجوز أن تغير الحروف والكلمات والترتيب فى النظم العربى كيلا يقع فيه التحريف ، نرى أن

---

(١) ولقد أنصف فضيلة الاستاذ فى حصر القرآن فى النظم العربي المعروف

التراجم لا يمكن أن تؤثر فى شىء من هذا مطلقا لان هذا كله باق فى النظم العربى لاتفتح التراجم عليه باب الفساد ونحن انما أمرنا بحفظ هذا فى اللسان العربى الذى أنزل به القرآن وكيف نكلفه اذا أريدت الترجمة ويصح أن يقال انما أمرنا به فى القرآن والتراجم ليست قرآنا ولا يصح أن تسمى قرآنا وانما هى معانى القرآن » يذهب على فضيلة الاستاذ ان التغيير الذى اعترف به فى التراجم هو بذاته فتح باب الفساد على القرآن العربى وكان الفساد فى الترجمة لايعد فساداً فى القرآن لو لم تلاحظ مع هذا اقامة التراجم مقام القرآن عند الشعوب غير العرب وقد أجازها الاستاذ بل رجح التراجم للاعاجم كما سبق فتجويز اقامتها مقام القرآن وعدم اعتبار التغير فيها تغيراً وفسادا فى القرآن متناقضان بل ذلك التجويز مع هذا الاعتراف بأن التراجم ليست بقرآن مناقضة صريحة من الاستاذ وتعزيه بمحفوظية الاصل العربى عند الاعتراف بالتغير فى التراجم ليس بأقل عجبا من هذه المناقضة ولو كان وجود القرآن المتواتر غير المتغير عند العرب يكفى الاعاجم الآخذين بالتراجم لكونه أصلها ومأخذها ويغنى التراجم عن بقاء الالفاظ المتواترة فيها فلماذا لا يكفى اذن أن تحفظ نسخة واحدة أو عدة نسخ متواترة الالفاظ فى محل ولا يؤذن فى العدول عن ألفاظه العربية أيضاً الى ألفاظ عربية غير متواترة اعتماداً على وجود النسخ المتواترة المحفوظة وليس هذا العدول الى ألفاظ عربية غير متواترة بأعظم خطراً من العدول الى ألفاظ غير عربية وغير متواترة ، ان كان المقصود هو المحافظة على المعنى فلماذا يمنع عن الاول ويؤذن فى الثانى لكن الاعتماد على النسخ المتواترة وتجويز العدول فى غير تلك النسخ الى ألفاظ أخرى عربية أو غير عربية كل ذلك ينافى حفظ القرآن بطريق التواتر ويكون العدول الى أى لفظ غير متواتر عربى أو غير عربى مبدأ العدول عن طريق التواتر فادامة سلسلة التواتر لا تكون الا بادامة تحديد الالفاظ ومنع احداث أى لفظ غير متواتر وهذه الكلمات التى أوردناها على فضيلة الاستاذ واردة بالاولى

على صاحب البدائع الذى يجوز عنده العدول للعرب أيضاً عن النظم المتواتر فى قراءة الصلاة على مذهب الامام لكون القرآن عبارة عن المعنى

نعود الى نقل ما فى البدائع : « ومعنى الدلالة يوجد فى الفارسية » فيه نظر ظاهر قال السيوطى فى الاتقان « وعن القفال أن القرآن بالفارسية لايتصور قيل له فاذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن قال ليس كذلك لأن هناك يجوز أن يأتى ببعض مراد الله و يعجز عن البعض وأما اذا أراد أن يقرأ بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله تعالى . وقد عرفت اعتراف فضيلة الاستاذ المراغى بالتغير فى التراجم

« فجاز تسميتها قرآنا دل عليه قوله تعالى ﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا ﴾ أخبر أنه لو عبر عنه بلسان العجم كان قرآنا »

يرد عليه أنه لو جعله قرآنا أعجميا لما سماه قرآنا لان القرآن لفظ عربى ولو سلم فانما يكون قرآنا لان الله هو جاعله ولو أنزل الله قرآنا أعجميا لاعتبرناه كلام الله كالقرآن العربى والحق أن الاستدلال بهذه الآية على كون تراجم البشر بمنزلة القرآن المنزل أوهى من بيت العنكبوت . وقد عرفت أن القرآن منكراً غير القرآن المعرف

« والثانى من الوجهين ان كان لايسمى غير العربية قرآنا لكن قراءة العربية ما وجبت لانها تسمى قرآنا بل لكونها دليلا على ما هو القرآن الذى هو صفة قائمة بالله بدليل أنه لو قرأ عربية لايتأدى بها كلام الله تفسد صلاته فضلا من أن تكون قرآنا واجبا »

ونحن نقول قراءة العربية ما وجبت لانها تسمى قرآنا أى لكونها قرآناً اسما فقط بل لكونها قرآنا بالاسم والمسمى واسم الشىء لا يطلق عليه إلا لأنه طريق التعبير عن مسماه وفى الحقيقة فان القرآن فى عرف الشرع وفى تفاهم الناس عبارة عن النظم العربى المنزل وهو دليل الاحكام الشرعية المعبر عنه بالكتاب

فوجوب قراءة العربية لكونها هى القرآن وكون الواجب هو قراءة القرآن . أما قوله « بل لكونها دليلا على ما هو القرآن الذى هو صفة قائمة بالله » فذلك خلط مسألة القراءة فى الصلاة التى هى من المسائل الشرعية العمليـة بمسألة أهل الكلام . ومع هذا فقد عرفت أن اطلاق القرآن على الصفة القديمة عند المتكلمين لاينافى كون النظم المنزل عندهم قرآناً على أنه القرآن الوحيد فى العرف العـام والعرف الخاص بأهل الشرع . وأما قوله « بدليل أنه لو قرأ عربية لايتأدى بها كلام الله تفسد صلاته فضلا عن أن تكون قرآنا واجباً » فمغالطـة ظاهرة لان القائلين بوجوب قراءة القرآن العربى قالوا به لكونه هو المنزل المعجز المتواتر لالكونه منسوبا الى لغة العرب حتى يلزم عليهم جواز الصلاة بقراءة آية عربية دالة على أى معنى لـكون الآية التى أوجبت القراءة فى الصلاة تعيّن قراءة القرآن ولا وجه لحمل القرآن الذى تجب قراءته فى الصلاة على الصفة القديمة النفسية التى يثبتها المتكلمون الاشاعرة فى باب الصفة إذ لايفهمها الناس من اسم القرآن ولا يتعلق بها أمر القراءة

« ومعنى الدلالة لايختلف » لانسلمه وقد سبق « فلا يختلف الحكم المتعلق به والدليل على أن عندهما تفترض القراءة بالفارسية على غير القادر على العربية وعذرهما غير مستقيم » خبر الدليل وعذرهما المعطوف عليه « لان الوجوب متعلق بالقرآن وانه قرآن عندهما باعتبار اللفظ دون المعنى » فقط « فاذا زال اللفظ لم يكن المعنى قرآناً فلا معنى للايجاب ومع ذلك وجب » عندهما فى حالة العجز « فدل على أن الصحيح ماذهب اليه أبو حنيفة » من أن القرآن هو المعنى

وفيه أنه لايلزم من فساد قول صاحبى الامام صحة قوله لاحتمال أن لايصح قوله أيضاً فيصح قول الشافعية ومعهم المالكية والحنابلة من أنه لاتجوز القراءة بالفارسية مطلقاً سواء فيه القادر على قراءة النظم العربى والعاجز عنهـا ، والعجب من صاحب البدائع أنه لم يذكر رجوع الامام الى قول صاحبيه كما ذكره الثقات

من فقهاء الحنفية بل سعى فى نقض مذهبهما و الجائهما الى الرجوع الى مذهب الامام المرجوع عنه و نحن نعتبر كلامه فى اثبات عدم الصحة لمذهب الامامين مع رجوع الامام عن مذهبه اعترافا بعدم صحته ، دليلا على أن الحق فى هذه المسألة يتجلى فى مذهب الائمة الثلاثة ، فالعاجز عن العربية وبالاولى القادر عليها لايجوز له أن يقرأ التراجم باسم القرآن بل يهلل العاجز ويسبح أو يسكت ولهم فيه أدلة من السنة كما سبق . وأما حديث سلمان وترجمته الفاتحة فلم يثبت مستنده وعلى فرض ثبوته فهو لايكفى حجة لاقامته مقام القرآن ، كيف ولم ينقل نص تلك الترجمة الينا تواتراً كتواتر القرآن ولو نقل لكان الجواز مقصوراً عليه غير متعد الى التراجم المحدثة فى تركيا وغيرها ، وحيث لم يتواتر نقل ترجمة سلمان ولم تكتب فى المصاحف فلا تكون هى قرآناً أيضاً بناء على القاعدة الحاسمة من أن غير المتواتر ليس بقرآن وكيف تكون ترجمة سلمان قرآنا تجوز قراءتها فى الصلاة مع أن قراءة ابن مسعود أو على الذى تفردا بها فى النظم العربى لا تعد قرآنا ولا تجوز بها الصلاة ولا يقال ان العمل باخبار الآحاد جائز فى العبادات لانا نقول المسألة مسألة اقامة الترجمة مقام القرآن لا العمل باخبار الآحاد ألا يرى أن صاحب البدائع انتقل من هذه المسألة الى اعتبار الفارسى قرآنا والحال ان اخبار الآحاد لا تعارض نص القرآن الناطق بأن القرآن عربى أما التسبيح والتهليل فلا يؤتى بهما على عدهما قرآنا بل اسوة للعاجز عن القراءة بالذكر غير متشبه بالقارئ اعظاما لامر القرآن وصونا للقرآن عن مزاحمة الغير ووقفا للعاجز عند حده

« ولأن غير العربية اذا لم يكن قرآنا لم يكن من كلام الله تعالى فصار من كلام الناس وهى تفسد الصلاة والقول بتعلق الوجوب بما هو مفسد غير سديد »

وهذا الدليل كدليله الاول لا يقوم على دعواه ، وهى صحة مذهب الامام أبى حنيفة بل يؤيد مذهب الذين لا يجوزون القراءة بغير العربية مطلقا وقراءته تفسد الصلاة عندهم

« وأما قولهم ان الاعجاز من حيث اللفظ لا يحصل بالفارسية فنعم لكن قراءة ما هو معجز النظم عنده ليس بشرط لان التكليف ورد بمطلق القراءة لا بقراءة ماهو معجز ولهذا جوز قراءة آية قصيرة وان لم تكن هى معجزة ما لم تبلغ ثلاث آيات

فيه أن التكليف لم يرد بمطلق القراءة بل بقراءة القرآن والفارسى قرآن عنده لكنه قرآن غير معجز وهذا عجيب وكان ينبغى لغرابته أن يدله على فساد رأيه فهل رأيتم أو سمعتم قرآنا غير معجز نعم ان الاستاذ فريد يدعى أن القرآن غير معجز بلفظه ومن حيث بلاغته فليس فى القرآن اعجاز عنده من هذه الحيثية حتى يزول فى الترجمة وسيأتى الكلام عليه لكن صاحب البدائع لاينكر اعجاز القرآن من حيث اللفظ ولا ينكر زوال هذا الاعجاز فى الترجمة ومع هذا يقول ان الترجمة قرآن فقوله أشد غرابة من قول الاستاذ وان كانت الجراءة فى قول الاستاذ أشد

أما قياس عدم حصول الاعجاز فى التراجم بعدم حصوله فى الآية القصيرة التى تجوز بها الصلاة عند الامام فمع كونه دفاعا عن قول الامام فى مسألة بقوله فى مسألة أخرى فى حال أن الخصم لايعترف بهما معا فهو قياس مع الفارق لان الآية القصيرة قطعة من القرآن وان لم تبلغ حد الاعجاز لقصرها لا لقصور فى بلاغتها والله تعالى أمر بقراءة ما تيسر من القرآن الذى من أشرف خواصه الاعجاز فيمكن أن يستنبط من تعبير التيسر إجزاء آية قصيرة من ذلك القرآن المعجز بخلاف التراجم فانها غير معجزة ولا من القرآن المعجز ولا قراءتها قراءة ما تيسر من القرآن والآية القصيرة فيها جميع أوصاف القرآن فهى منزلة الى نبينا عليه الصلاة والسلام ومنقولة عنه تواتراً فيما بين دفتى المصاحف فهى قرآن قطعا بحيث يكفر من ينكر قرآنيتها أما الاعجاز فحق أن يقال فى الاعتذار عن عدم حصوله فى الآية القصيرة أن الصلاة ليست حالة اعجاز بل حالة قراءة

القرآن والنص آمر بها فيكفى أن يكون ما يقرأ فيها قرآنا ولاشك فى قرآنية الآية القصيرة وان فاتها الاعجاز لقصرها فلو زدت عليها آيتين من أمثالها لاعجزت ولا تعجز الترجمة مهما زدت عليها منها وليس الاعجاز من شأنها والاعتذار الذى أتينا به لتجويز الصلاة بالآية القصيرة قد أتوا بمثله لتجويز الصلاة بالتراجم وقالوا ان الصلاة حالة مناجاة لا حالة اعجاز لكن قولهم هناك يصير بمنزلة أن يقال ان الصلاة حالة مناجاة لا حالة قراءة القرآن فيرد لمعارضة النص وقولنا عين موافقة النص

الحاصل أنه يجب أن يفرق بين عدم حصول الاعجاز لعدم حصول القرآنية وبين عدم حصوله لسبب آخر كقلة المقدار ولهذا يمكن تحصيل الاعجاز فى الآية القصيرة بالزيادة فيها من جنسها ولا يمكن تحصيل الاعجاز فى الترجمة لخلوها عن مادة الاعجاز وهذا أبلغ دليل على أن الترجمة ليست بقرآن فان كان الاعجاز صفة كاشفة عن القرآن وقد خلت عنه الترجمة كلا أو بعضا فيلزم إما نفى قرآنيتها أو انكار اعجاز القرآن ومن هذا لجأ الاستاذ فريد وجدى الى انكار اعجاز القرآن من جهة البلاغة لتسديد منطق كون الترجمة قرآنا واقترف خطأ كبيرا وما ساغ اقتراف هذه العظيمة لعظيم من فقهاء الاسلام كصاحب البدايع فهدم المنطق لبناء مذهب الامام أبى حنيفة وكفى الله الامام الشر بن فرجع عن مذهبه الى قول الامامين

نعود الى نقل مافى البدائع : « وفصل الجنب والحائض ممنوع »

أقول اختلف فقهاء الحنفية فى قراءتها القرآن بالفارسية ومسها المصحف المكتوب بها على مذهب الامام وصاحبيه قال فى المنتخب الحسامى « القرآن اسم للنظم والمعنى جميعا فى قول عامة الفقهاء وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة إلا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما فى الصلاة خاصة » وقال عبد العزيز البخارى

فى شرحه المسمى بالتحقيق « فيه تنصيص على أن فى ما سواه من الاحكام من وجوب الاعتقاد حتى كفر من أنكر كون النظم منزلا وحرمة كتابة المصاحف بالفارسية وحرمة المداومة والاعتياد على القراءة بالفارسية النظمُ لازم كالمعنى ولا يلزم عليه وجوب سجدة التلاوة بالقراءة بالفارسيـة وحرمة مس مصحف كتب بالفارسية على غير المتطهر وحرمة قراءة القرآن بالفارسيـة على الجنب على اختيار بعض المشايخ منهم شيخ الاسلام خواهر زاده لانه لم يرد عن المتقدمين من أصحابنا نص وما ذكر جواب المتأخرين فالشيخ بنى الجواب على أصلهم لاعلى مختار المتأخرين والمتأخرون انما بنوا ماذكروا على أن النظم وان فات فالمعنى الذى هو المقصود قائم فيثبت هذه الاحكام احتياطا والدليل عليه أنهم لم يذكروا فيها اختلافا بين أصحابنا ولو لم يكن طريق ثبوت هذه الاحكام ماذكرنا لم يستقم هذا الجواب على قولهما لان النظم لازم عندهما كالمعنى وقد ذكر الامام المحبوبى فى شرح الجامع الصغير أن حرمة القراءة متعلقة بالنظم والمعنى جميعا حتى لو قرأ الجنب والحائض بالفارسية جاز وأجيب أيضاً عن سجدة التلاوة بأنها ملحقة بالصلاة لان السجدة من أركان الصلاة وبينها وبين السجدة مشاركة فى المعنى ويجوز أن يلحق بالصلاة بواسطتها وكنية النظم قد أسقطت فى الصلاة فيسقط فيما لحق بها انتهى كلامه . وفى توضيح صدر الشريعة قد روى عن أبى حنيفة أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً فى الصلاة خاصة بل اعتبر المعنى حتى لو قرأ بغير العربية من غير عذر جازت الصلاة عنده وانما قال خاصة لانه جعله لازماً فى غير جواز الصلاة كقراءة الجنب والحائض حتى لو قرآ آية من القرآن بالفارسية يجوز لانه ليس بقرآن لعدم النظم لكن الاصح أنه رجع عن هذا القول أى عدم لزوم النظم فى حق جواز الصلاة انتهى . وقال التفتازانى فى التلويح ان قيل المتأخرون على أنه تجب سجدة التلاوة بالقراءة الفارسية ويحرم لغير المتطهر مس مصحف كتب بالفارسية فقد جعل النظم غير لازم فى ذلك أيضاً فلا يصح قوله خاصة

قلنا بنى كلامه على رأى المتقدمين فانه لانص عنهم فى ذلك والمتأخرون بنوا الامر على الاحتياط انتهى. فظهر أن قول صاحب البدائع « وفصل الجنب والحائض ممنوع » مبنى على اختيار المتأخرين المبنى على الاحتياط لا على الاصل فلا يدل على كون الفارسية قرآنا والدليل على ذلك أنهم لم يذكروا فى هذه المسألة خلافا بين الامام وصاحبيه كما ذكروا فى الصلاة فكان يلزمهم على الاقل أن يقولوا بعدم حرمة المس والقراءة لغير العاجز على قولهما لعدم كون الفارسية قرآنا فى حقه عندهما فدل ذلك على أن تحريمهم مبنى على الاحتياط لا لكون الفارسية قرآنا عندهما أو عنده ويؤيده أن المجوزين منهم لم يفرقوا فيه قول الامام أيضا

فيظهر من هذه النقول أن الامام فى قوله المرجوع عنه يستند الى التيسير المذكور فى آية الامر بالقراءة فى الصلاة أما فى سائر الاحكام فالنظم العربى ركن لازم للقرآن كالمعنى وان المعنى المجرد عن نظمه ليس بقرآن عنده أيضاً حتى على رأى المتأخرين الذين قالوا بوجوب سجدة التلاوة بالقراءة الفارسية وحرمة مس مصحف كتب بالفارسية وقراءته لغير المتطهر احتياطاً لكن الحق أن التيسير فى قراءة القرآن لا يوسع الى أن يقرأ فيها ما ليس بقرآن عنده أيضاً لأن الآية الميسرة نفسها تأمر بقراءة القرآن والفارسية ليست بقرآن حتى تجوز قراءة الجنب والحائض بها عنده على تخريج أصحابه المتقدمين وان منعها المتأخرون احتياطاً مع الاعتراف بعدم قرآنيته وما لا يعد قرآنا فى الخارج لا يعد قرآنا فى الصلاة لان ما تيسر يجب أن يكون من القرآن بحكم الآية والتيسير فى قراءة القرآن لا يشمل قراءة ما ليس بقرآن ولا أدرى وجها لجواز تغيير القرآن المنزل فى حالة الصلاة التى هى محل وجوب قراءة القرآن الوحيد ولذا رجع الامام عن قوله هذا فى الاصح قال ابن الملك فى شرح المنار انه رجع عن هذا القول كما رواه نوح بن أبى مريم لأنه يلزم منه أحد أمرين اما بطلان تعريف القرآن لان الفارسية غير مكتوبة فى المصاحف أو جواز الصلاة بدون القرآن وفى شرح المنتخب المسمى بالتحقيق قد صح رجوع الامام الى

قول العامة رواه نوح ذكره فخر الاسلام فى شرح كتاب الصلاة وهو اختيار القاضى أبى زيد وعامة المحققين انتهى وفى الهداية ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد وفى الكفاية مشايخ بلخ أخذوا بقولهما فى هذه المسألة وهو مختار الفقيه أبى الليث وكذا ذكره الامام فخر الدين قاضيخان فى الجامع وذكر أبو بكر الرازى أنه رجع الى قولهما وهو الصحيح انتهى وفى محيط السرخسى ذكر أبو بكر الرازى أنه رجع الى قولهما فى القراءة وعليه الاعتماد وفى التلويح رواه نوح بن أبى مريم قال فخر الاسلام لان ما قاله يخالف كتاب الله حيث وصف المنزل بالعربى وقال أبو اليسر هذه المسألة مشكلة لايتضح لاحد ما قاله أبو حنيفة وقد صنف الكرخى فيها تصنيفاً طويلا ولم يأت بدليل شاف وفى جامع الرموز ذكر شيخ الاسلام وغيره أنه رجع الى قولهما وهو الصحيح وعليه المعول انتهى . وقال ابن الهمام فى التحرير وللعربى أى لكون القرآن عربيا رجع أبو حنيفة عن الصحة أى صحة الصلاة للقادر على العربى بالفارسية لان المأمور قراءة مسمى القرآن لقوله تعالى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) وما فى الخارج المنحصر فيه القرآن عربى رواه نوح بن مريم وعلى بن الجعد عنه وعليه الفتوى حتى قال الامام أبو بكر محمد بن الفضل لو تعمد ذلك فهو مجنون فيداوى أو زنديق فيقتل انتهى ما فى التحرير مع شرحه لابن أمير الحاج. والعجب من صاحب البدائع أنه يصر فيما رجع عنه الامام ولا يذكر رجوعه ، ومن الاستاذ فريد وجدى أنه يعيّر علماء الدين بسد أبواب الاجتهاد ثم يُلزمهم الجمود على مذهب الامام أبى حنيفة فى مسألة تفرد بها وكان مذهب غيره أقوى من مذهبه بل رجع الامام عنه للسبب نفسه لكن الاستاذ فى مذهب أنقرة لافى مذهب الامام وان اتخذه جُنة

هذا على قول الامام الذى رجع عنه وأما على قولهما وهو قول الامام أيضا بعد رجوعه فالقرآن اسم لمجموع النظم والمعنى قطعا فالفارسية ليست بقرآن الا أنها اقيمت مقام القرآن فى الصلاه للعاجز عن العربية لكنه يرد عليه ما ورد على قول

الامام من أحد أمرين اما بطلان تعريف القرآن لان الفارسية غير مكتوبة فى المصاحف المنقول ما بين دفتيها تواتراً أو اقامة غير القرآن مقامه بالرأى فكيف تكون الفارسية أو غيرها قرآن العاجز والضرورة لا تجعل غير القرآن قرآنا قال فى فتاوى قاضيخان لو قرأ آية السجدة بالفارسية على قول أبى حنيفة تجب عليه وعلى من سمعها السجدة وعلى قولهما ان كان التالى يحسن العربية لم تكن تلاوة أصلا وان كان لا يحسن فهى تلاوة فى حقه . أما السامع ان علم أنها آية السجدة تلزمه السجدة والا فلا انتهى . وفى المحيط البرهانى لو تلاها بالفارسية فعليه أن يسجد وعلى من سمعها فى قياس قول أبى حنيفة سواء فهم أو لم يفهم اذا أخبر أنها آية السجدة وقال أبو يوسف تجب على من فهم ولا تجب على من لم يفهم لان عنده انما تجوز بالفارسية اذا لم يقدر على العربية فاعتبر قراءة الفارسية قراءة القرآن من وجه دون وجه فأوجبها على من فهم فاما التلاوة بالعربية توجب السجدة على من فهم وعلى من لم يفهم لانها تلاوة القرآن من كل وجه والسبب متى وجد لا يتوقف عمله على الفهم وما قاله أبو يوسف باطل لانه ان كانت التلاوة بالفارسية تلاوة القرآن ينبغى أن تجب على كل حال أما أن تجب فى حال ولا تجب فى حال فهذا ليس من الفقه فى شىء انتهى .قال العلامة أبو الحسنات عبد الحى اللكنوى فى آكام النفائس بعد نقل ما فى المحيط لا يظهر وجه معتد به للفرق بين ما اذا فهم وبين ما اذا لم يفهم على قولهما بل الظاهر أنه لا تجب السجدة سواء فهم أو لم يفهم عندهما لانهما يجعلان النظم داخلا فى الحقيقة القرآنية ولا يجوز ان القراءة لغير العاجز بغير العربية فمجرد المعنى عندهما ليس بقرآن وتأديته بعبارة أخرى ليس بقرآن ، والسبب لوجوب السجدة انما هو تلاوة القرآن فاذا قرأ آية السجدة بالفارسية لا يكون تاليا للقرآن ولا سامعه سامع القرآن نعم اذا قرأ آية السجدة بالفارسية من لا يحسن العربية يجب عليه السجدة لكونه تاليا للقرآن لان النظم الفارسى الدال على معنى العربى عند العجز قرآن لكن لا تجب على سامعه لعدم كونه قرآناً

فى حقه هذا ان بنى الكلام على الحقيقة وأما ان بنى الكلام على الاحتياط فى الشريعة فيلزم وجوب السجدة مطلقاً لان النظم الفارسى قرآن من وجه من حيث المعنى دون وجه من حيث المبنى و لذا يجوز الا كتفاء به للعاجز عن قراءة العربي ولا يجوز للقادر على العربى فالاحتياط أن تجب السجدة لوجود سبب وجوبها وهو تلاوة القرآن ولو من وجه وحينئذ فلا وجه لوجوبها فى وجه دون وجه لأن أمر الاحتياط موجود فى كل وجه وبالجملة ان بنى الكلام على حقيقة قولها لا تجب السجدة فى التقديرين وان اعتبر الاحتياط لزم الحكم به على كلا الشقين انتهى فانظر كيف يختلف القرآن على مذهب الامامين فلا يكون قرآنا فى حق كثير من المسلمين ما يكون قرآنا فى حق بعضهم فالفارسية ليست بقرآن لغير الفارسى ولا للفارسى الذى لا يعجز عن العربية والتركية ليست بقرآن فى حق غير الترك ولا للذين لا يعجزون منهم عن العربية فاعجب بقرآن لاتتفق كلمة المسلمين على أنه قرآن حتى ان من كان قرآناً فى حقه لا يكفر بانكار قرآنيته لعدم كونه منقولا بالتواتر فيما بين دفتى المصاحف . وستعرف مما يأتى فى هذا الكتاب أنه كيف يختلف التراجم حتى فى لغة واحدة باختلاف افهام المترجمين واختلاف محتملات معانى القرآن وذاك اختلاف بل اختلافات من ناحية أخرى فهذا الاختلاف وهذا الشتات وهذا الضعف والتشكك هو الذى يتعمد الملاحدة ادخاله فى كتاب الاسلام حال كون القرآن العربى قرآناً فى حق الكل واتفقت عليه كلمتهم واتفقت كلمته عليهم فلو كان صاحبا الامام فى زماننا ورأيا صنيع الملاحدة ومن يحطب فى حبلهم يشجعهم ويسهل لهم طريق الغارة على القرآن ويجمع لهم عوناً من المذاهب على رغم أنها مذاهب اسلامية لا يتصور فيها أن تكون عوناً للملاحدة لرجعا عن قولها كما رجع الامام عن قوله واستنصروا عليهم بمذهب أخيهم الامام الشافعى

وأخويه وسدوا أبواب هذه الفتنة اللادينية [١] ومما يدل على ما قلنا دلالة بينة قول المحقق ابن الهمام فى التحرير «الوجه فى العاجز عن النظم العربى أنه كالامى لأن قدرته على غير العربية كلا قدرة فكان أميا حكما فلو أدى بالفارسية قصة أو أمراً أو نهيا فسدت الصلاة بمجرد قراءته لانه متكلم بكلام غير قرآن لا ذكراً أو تنزيها الا اذا اقتصر على ذلك فانها تفسد حينئذ بسبب اخلاء الصلاة عن القراءة» أى لعدم الاعتداد بما قرأه فى موضع القرآن وقال فى النفحة القدسية وقدمنا عن الاتقانى أن الفارسية عندهما ليست بقرآن . فلا يخرج به عن أن يكون أميا وتصح صلاته بدون قراءتها وان جازت وكانت تقديسا

وقال فى آكام النفائس أشد المذاهب الثلاثة تحقيقاً وأحسنها استدلالا فى مسألة القراءة بالفارسية فى الصلاة هو المذهب الاول أى عدم الجواز مطلقا سواء فيه العاجز وغيره لكونه مستنداً الى نص الرسول ﷺ وبه يستدل فى أمثال هذه المباحث وعليه يعول وأضعفها مذهب الجواز المطلق الذى قال به الامام ثم رجع وبينهما مذهب صاحبيه ولولا أنه يرد عليه أن الابدال لا تنصب بالرأى لكان أحسن المذاهب وأقواها ثم نقل كلام ابن أمير الحاج فى حلية المحلى شرح منية المصلى فى بحث نية الصلاة : « بقى هنا شيء وهو أن فى شرح الزاهدى عن شرح الصباغى من عجز عن احضار القلب فى النية يكفيه التلفظ باللسان لان التكليف بالوسع وعند العبد الضعيف فى هذا نظر لان إقامة فعل اللسان فى هذا مقام القلب عند العجز عنه بدلا عنه لايكون بمجرد الرأى لان الابدال لاتنصب

---

(١) على أن قول الامامين الذى هو المذهب الحنفى الوحيد بعد رجوع الامام عن قوله مع ما فيه ايضا مما فى قول الامام من الضعف والاضطراب ، لا يوجد له اليوم محل تطبيق بين المسلمين لا فى تركيا ولا فى غيرها ومن يعجز عن قراءة القرآن العربى بقدر ماتجوز به الصلاة أو يتعفر عليه تعلم ذلك القدر ؟ وقد سبق بيانه فى آخر النظرة الاولى

بالرأى وقد يسقط الشرط عنـد عدم القدرة عليه لا الى بدل مع عدم سقوط المشروط وقد يسقط الشرط عند عدم القدرة عليه الى بدل وقديسقط المشروط بواسطة عدم القدرة على شرطه فاثبات أحد هذه الاحتمالات دون الثانى يحتاج الى دليل وأين الدليل ههنا على اقامة فعل اللسـان مقام فعل القلب » فكذلك نقول ههنا ان إقامة العبارة العربية مقام العربية لا شبهة فى أنه من قبيل نصب الابدال ولا سبيل اليه الا بنص من الشارع لا بمجرد الاستدلال والنص فى إقامة الاذكار مقام القراءة عند عدم القدرة موجود وأما فى إقامة غير العربيـة مقام العربية فهو مفقود والقول بان الاتيان بما هو قرآن من وجه أولى من تركه من كل وجه يخدشه ان الاولوية حكم شرعى لابد له من دليـل شرعى ومع هذا فهو معارَض بان النظم الغير العربى ان كان قرآنا من وجه فهو من كلام الناس من وجه واخلاء الصلاة عن كلام الناس ولو من وجه الزم لعدم صلاحية الصـلاة له ولما يشبه بالنص الاحكم . الى هنا من آكام النفائس لابى الحسنات عبد الحى اللـكنوى الحنفى وهو يقول فى حديث سلمان عن ترجمة الفاتحة بالفارسية تتبعت هذا الاثر فلم أجده الى الآن مسنداً فى كتب الأثر

فهذه الكلمات من فقهاء الحنفية رجوع عن قول صاحبى الامام فى الجملة الى ماذهب اليه الأئمة الثلاثة بعد رجوع الامام الى قولهما رجوعا ناشئاً عن دليل فلا وجه لما سيقال ان هذا صنيع البعض والحال أنهم اهتـدوا اليه قبل أن أدركوا الفتنة الانقرية ونحن الآن ماشون على طريق الاستدلال ولهذا لا نعبأ بما قال البعض الآخر أن الفارسية قرآن عندهما فى حق العاجز عن القرآن العربى إذ لامعنى لاختلاف القرآن فى حق أحد دون أحد والعاجز يجرى عليه حكم الامى وفضلا عن ذلك فان فقهاءنا أتباع الامام أبى حنيفة لم يقصّروا فى ذكر ماينطبق على الفتنة الحاضرة وقالوا ان العامد بقراءة غير القرآن العربى إما مجنون فيداوى أو زنديق فيقتل كما سبق غير مرة وهذا فى حق القادر أما العاجز فقد علمت أن

منع الاعتياد بقراءة الفارسية أشد المنع عند فقهاء الحنفية يحتّم عليه تعلم القرآن العربى ولا يجيز له البقاء على العجز وقد علمت أيضا كلام الكمال ابن الهمام فى التحرير حيث منع العاجز أيضا من القراءة بالفارسية وجعله كالامى وتبعه الشرنبلالى فى النفحة القدسية وان اعترض عليه فضيلة الشيخ المراغى قائلا : « ان ما ذكره الكمال فى التحرير يجب أن لا يعد رأيا فى مذهب أبى حنيفة بل إحداث رأى لم يسبقه اليه أحد من الفقهاء وقد علمت أن ابن أمير الحاج رد ما اختار الكمال بنص الصدر الشهيد فى شرح الجامع الصغير وقد رده أيضا ابن عابدين فى حاشيته على البحر ولذلك ترى الكمال لم يذكر رأيه هذا فى فتح القدير »

ونحن نقول أما أولا فان عدم ذكر الكمال فى فتح القدير ما ذكره فى التحرير لاينفيه بل يبقيه وانما ينفيه ذكر ما ينافيه وأما ثانيا فانه لا يضره أن لا يكون رأيه هذا رأيا فى مذهب أبى حنيفة وانما اللازم كونه حقا ورأيا عن دليل فقد يسوق الفقيه ما يراه فى مذهب أبى حنيفة بل وصاحبيه أيضا فى مسألة القراءة من الترجمة من الاضطراب الى الخروج عن دائرة مذهبهم ومنشأ الاضطراب أن الترجمة ليست بقرآن ومع هذا يجوز للقادر أو العاجز قراءتها فى الصلاة بدلا عن قراءة القرآن واضطراب أقوال الفقهاء فى حرمة مس الفارسية وقراءتها للجنب والحائض كما علمت ناشئ من عدم كونها قرآنا مع جواز قراءتها فى الصلاة للقادر أو العاجز والحال أن جواز صلاة القادر بها لاوجه له قطعا وقد سمعت رجوع الامام عنه ويلزم أن يكون جواز صلاة العاجز بها أيضا كذلك اذ العجز والضرورة لا يجعلان غير القرآن قرآنا والقدرة على قراءة الترجمة ليست بقدرة على القراءة فيأخذ حكم الامي فعدم كون الترجمة قرآنا وجواز الصلاة بها متعارضان فاما أن يغلب الثانى على الاول ويقتضى كون الترجمة قرآنا كما قال فضيلة الشيخ المراغى : « فقد علمت أن العلماء رجحوا أن القرآن اسم للنظم والمعنى عند أبى حنيفة وأصحابه وأنهم مع هذا أجروا الخلاف فى جواز الصلاة بالترجمة حال

القدرة على أداء النظم العربى وهـذا غريب لانه مع الاعتراف بان الترجمة ليست قرآنا والله تعالى طلب قراءة القرآن بصيغـة الامر الدالة على الوجوب بقوله (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) كيف تجوز الصلاة بما ليس قرآناً واجازة الصلاة بها دليل على انها قرآن فقال العلماء ان الخلاف انما هو فى الصلاة ومعناه ان أبا حنيفة لا يسمى الترجمة قرآناً فى غير الصلاة ولكنها يعتبرها قرآناً فى الصلاة رخصة لأن حالة الصلاة حالة مناجاة لا حالة اعجاز » واما أن يغلب الاول على الثانى فلا تجوز قراءة الترجمة فى الصلاة فنحن ننظر أيهما أقوى حتى يغلب على الآخر ولا شك أنه الاول لان الحكم بعدم الترجمة قرآناً أمر لا قِبَل لانكاره والا يلزم بطلان تعريف القرآن ولذا اتفق الاحناف فى هذا الحكم مع غيرهم واعترف به الشيخ المراغى شيخ مروجى الترجمة فى عدة مواضع فنحن مضطرون الى قبوله لكونه حكما موافقاً للواقع أما الثانى وهو جواز الصلاة بالترجمة فلا داعى يضطرنا الى قبوله الا كونه مذهب أبى حنيفة أو صاحبيه وأما التوفيق بينهما أى بين الحكمين بقولهم ان الصلاة حالة مناجاة لا حالة اعجاز فمعناه انه لايلزم أن تراعى فيها ناحية النظم المتصف بأوصاف مثل كونه معجزاً ومنزلا ومنقولا بالتواتر والحال ان هذه أوصاف القرآن التى يتحقق بتحققها وينتفى بانتفائها فمآل ذلك القول ان الصلاة حالة مناجاة لا حالة قراءة القرآن وهو مصادم للنص الآمر بقراءة القرآن فى الصلاة فأنت ترى ان الكمال بن الهمام لا يُعد مخذولا ومنفرداً فى قوله بعدم قراءة الترجمة فى الصلاة للعاجز أيضاً مالم يخذله الدليل حتى ان صاحب البدائع الذى يجد دعاة الترجمة فى كلامه أقوى سند لهم يؤيد قول ابن الهمام حيث ينتقد على صاحبى الامام قولهما فى جواز صلاة العاجز بالترجمة ولا يرى وجهاً له مع سلب قرآنيتها كما سبق وان رقع نقض قولهما لتأييد قول الامام الذى هو أضعف من قول صاحبيه فكأن صاحب البدائع يقول اما أن يكون القرآن عبارة عن المعنى وحده كما هو المختار عنده فتكون الترجمة قرآناً وتجوز الصلاة بها للقادر على العربية والعاجز عنها أو يكون عبارة عن النظم والمعنى فلا تكون الترجمة

قرآناً فلا تجوز الصلاة بها للعاجز أيضاً كما هو مختار ابن الهمام فى التحرير لكن الحق ان القرآن لا يكون عبارة عن المعنى وحده ولا تعد الترجمة قرآناً حتى على قول الامام المرجوع عنه فيتعين مختار ابن الهمام وصاحب البدائع يظن ان الامام ذهب الى ما ذهب اليه فى قوله الذى رجع عنه لجعله القرآن عبارة عن المعنى وعده الترجمة قرآناً وهو خطأ عظيم لان الترجمة ليست بقرآن حتى اعترف به الشيخ المراغى ولا قوة فى شبهة من يعدها قرآنا فيخاف عليه ما يخاف على من ألحق بالقرآن ماليس منه ومن ذلك وجب تنزيه الامام عن ذلك الجعل والعد فلو كان القرآن عبارة عن المعنى لما بقيت أية فائدة فى اهتمام العلماء بشرط التواتر فى ألفاظ القرآن اهتماما يمنع تبديل حرف منها ويتوعده بالاكفار ولو كان التبديل لايتغير به المعنى ولا فى اهتمامهم بتعريف القرآن فى الاصول بما عرفوه فلا شبهة فى ان الامام لا يجعل القرآن اسما للمعنى رغم هذين الاهتمامين منهم ولا يكون منشأ اجتهاده فى تجويز الصلاة بالتراجم مثل قوله تعالى (وانه لفى زبر الاولين) مما يدل على كون القرآن عبارة عن المعنى فى زعم الزاعمين وانما منشأه التيسر المعبر به فى آية الامر بالقراءة وان كان اجتهاده هذا خطأ أيضا لا كالخطأ فى اعتبار ماليس بقرآن قرآنا واذا كان هذا منشأ اجتهاده فيرد عليه ما اورده صاحب البدايع على الامامين [1]

وأما قول فضيلة الشيخ المراغى « وأنتهى من البحث فى هذه المسألة الى ترجيح رأى قاضيخان ومن تابعه من الفقهاء وهو وجوب الصلاة بترجمة القرآن للعاجز عن قراءة النظم العربى وقد علمت ان اختيار صاحب الفتح » الاولى صاحب التحرير لانه يعترض على كلامه فيه لا على كلامه فى الفتح « مبنى على أن الترجمة ليست قرآنا وما كان كذلك كان من كلام الناس وهو غير صحيح لان الترجمة وان كانت غير قرآن باتفاق تحمل معانى كلام الله ومعانى كلام الله ليست كلام الناس وعجيب أن تسلب من معانى القرآن صفاتها وجمالها وتوصف

---

(١) ومن واجبنا فى هذا المقام أن ننبه الى أن ضعف مذهب الامام أبي حنيفة أو صاحبيه فى هذه المسألة أو غيرها وقوة ما ذهب اليه غيرهم لا يوجب طعنا فيهم ونقصا فى جلالة قدرهم بل يثبت بهذا أن منزلتهم — وهم أئمة مذهبي فى فروع الاحكام الشرعية — دون منزلة الانبياء المعصومين من الخطأ ولا يثبت به أن منزلة غيرهم من أئمة الدين منزلة الانبياء

بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربي كأن هذا الثوب هو كل شيء » ففيه أن معاني كلام الله اذا اديت بالفاظ الناس فلا شبهة في انها تفقد خلوصها وتضيع قرآنيتها باضاعة جزء النظم وقد اعترف بان الترجمة ليست بقرآن باتفاق فلا تجوز قرائتها فيما امرت فيه قراءة القرآن فضلا عن وجوبها وانظر كيف درى صاحب البدايع ما يقتضيه المنطق اذا كان القرآن اسماء لمجموع النظم والمعنى ولم تكن الترجمة قرآنا فاعترض على قول الامامين بلزوم فساد الصلاة بالترجمة اذ اقرأها العاجز مع كون صاحب البدايع من أكبر الناصرين لمذهب جواز الصلاة بالتراجم حتى جوزها للقادرين على العربية بادعاء كون الترجمة قرآنا ولم يجوزها للعاجزين على تسليم عدم كون الترجمة قرآنا ثم ان تشبيه النظم العربي بثوب القرآن مناف للاعتراف بجزئيته من القرآن والثوب ليس بجزء من لابسه فينفك عنه حين لا ينفك الكل عن جزئه والقرآن عن النظم وقول الشيخ « كأن هذا الثوب هو كل شيء » يشبه كلمات الاستاذ فريد وجدي في استخفاف نظم القرآن وفي ابتعاد الحق فلا الذي قال عنه الثوب ثوب ولا الذي قال كل شيء كل شيء لا الكل ولا الخارج عنه وانما هو جزء وقد سبق منا اثبات التساوي بين لفظ القرآن ومعناه في القداسة والنسبة الى الله تعالى وهو الذي أنزله بلفظه ومعناه فاختار لفظه بين الالفاظ ومعناه بين المعاني

وتلخيص الكلام أن في القرآن نظرين نظر الفقهاء ونظر المتكلمين فعلى نظر الفقهاء وتعريفهم فان القرآن عبارة عن النظم والمعنى وهما جزءان للقرآن لافرق بينهما في عدم جواز اخلاء القرآن من أحدهما بل أكثر ما يدور تعريفه على أوصاف النظم ولا يفهم من هذا عدم اهتمامهم بالمعنى بل أنهم رأوا أسلم طريق محافظة المعنى في محافظة النظم وعلى نظر المتكلمين الاشاعرة القائلين بالكلام النفسي القديم فليس المراد أن معنى القرآن قديم ولفظه حادث وليس هذا الاغلط من ظن أن معنى ومدلولات لفظه هو ذلك الكلام النفسي القديم وأنه صفة الله

القائمة بذاته فتوهم للمعنى مزية على اللفظ فى النسبة الى الله تعالى والحال أن معنى القرآن ولفظه سيان فى كون كل منهما أثر صفة الكلام القديمة لانفس تلك الصفة وان الفرق الذى يرى فى كلامهم ويجعل الكلام اللفظى دون غيره من حيث الحدوث والقدم فانما هو بالنسبة الى الكلام النفسى الذى يراد به صفة الكلام لا بالنسبة الى المعنى الذى هو مدلول اللفظ

وقد أطلت الكلام فى تحقيق المذاهب وتمحيص أقوال الفقهاء الاحناف والمتكلمين وان كان بين مرمى هؤلاء المذاهب والاقوال وبين مرمى فتنة ترجمة القرآن التى أحدثها الملاحدة فى زماننا بعد المشرقين ، وانى كتبته للمسلمين لا لاولئك الذين هم فى غنى عن الاستناد فى أفعالهم على تلك المذاهب التى ألغوها دفعة فليعلموا هذا ولا يضحكوا من اتخاذى فتنتهم اللادينية موضوعا علميا أبحث فيه مع الباحثين ولا أفهم اولا أريد أن أفهم أغراض الفاتنين وقد أطلت أيضا فى النقل من كلام الكاسانى فى بدائع الصنائع والانتقاد عليه ولأنقل منه فقرة تكون خاتمة ما نقلته عنه وردها عليه ختام الرد قال :

« ولو قرأ شيئا من التوراة أو الانجيل أو الزبور فى الصلاة ان تيقن أنه غير محرف يجوز عند ابى حنيفة لما قلنا وان لم يتيقن لا يجوز لان الله تعالى أخبر عن تحريفهم بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه »

ان الله تعالى أمرنا بقراءة القرآن فى الصلاة فالانتقال منه باستنتاج غريب الى جواز قراءة التوراة والانجيل والزبور لو لم تكن محرفة يعد من عوج الفهم ويسلب الاعتماد على الاسماء الخاصة ومثله مما يجب تنزيه مقام الامام عنه فضلا عن أن يفسر مذهبه بما يفضى اليه فلو سمع الملاحدة المغالون فى تقليد الامم الغربية المسيحية هذا الاستنتاج المعوج لامروا بقراءة الانجيل فى صلاة الاسلام على مذهب أبى حنيفة وأنكروا قضية التحريف أو تأولوها وكان أول من يحبذهم الاستاذ فريد

القسم الثانى



النظرة الخاصة بمقـــالات الاسـتاذ فريد وجدى

ما خفى على قراء مقالات الاستاذ فى ترجمة القرآن أنه قد كسا المسألة المتعلقة بحياة القرآن والاسلام كسوة سياسية اجتماعية ملاُطيـاتها محبيناً للانقلاب اللادينى وتنديداً بتاريخ الاسلام مع رجاله وعلمائه واستهان بمكان القرآن العربى وأنكر اعجازه من حيث البلاغة وكاد يقول فى اطراه بلاغة لغات الاوربيين وبراعة كُتّابهم فيها انهم قادرون فى ترجمة القرآن على أن يأتوا بأبلغ من أصله العربى وداس قواعد الدين والعلم والمنطق فلولا أن استمد الاستاذ فى ترويج مرامه من مسائل تركيا السياسية ولبّس على قراء مقالاته شعب الترك الراضى عن قرآنه العربى بحكومته التى تسوقه على خلاف مرضاته الى استبدال الترجمة التركية به لما تعقبتُ الاستاذ فى تجوُّلاته بخارج الصدد خطوة وما كدّرتُ صفو الموضوع بمباحث السياسة أصلا الا أن المسألة مسألةَ تبديل ألفاظ القرآن وتغييرها بما أن المسلمين كانوا يرونها من أسوأ المنكرات وبما أن الاستاذ يعدّها من أحسن حسنات أنقرة لا شك أنها سياسية أكثر منها فقهية فمن هذا فكّرتُ أنه لا يكفى فى اخماد هذه الفتنة مقابلتها بسلاح الفقه والعلم كما فعلتُه فى النظرتين المتقدمتين فمن المحتمل أن يبقى فى خلد القارئ بعد درسها وتسليم اصابتنا الحق فيهما من ناحية الفقه الاسلامى شيء من أمور تكلم الاستاذ عنها بلسان عصرى يخلب القلب بأسلوبه

وان كانت خارجة عن صلب الموضوع وكانت مع هذا غير مطابقة للواقع ومن المحتمل أن يعدّ هذا النوع من الكلمات قارئها أو متكلمها قد بقيت منصوبة فى ميدان النقاش غير مُجاب عنها فرأيت من واجب اتمام البحث أن أ كيله بكيله وأماشيه فى كل واد مر به فان كان فيه شىء فتبعته عليه ومن الظلم الصريح أن يكون الاستاذ حراً مطلق العنان فى ترويج منكَره يستظهر بما يشاء من المباحث السياسية وغيرها ويكونَ من يناظره ويذب عن أ كبر معروف فى دينه مكتوف الايدى لا يمس السياسة التى يتناولها خصمه ويتقلب بها كيف يشاء هواه بحجة أنها خارجة عن دائرة شغل علماء الدين

ومن بواعث الاسف الشديد أن المتألبين على دين الاسلام من الداخل والخارج يباح لهم أن يتخذوا من كل شىء جُنة ويتستروا وراء سياسة غير سياستهم وحكومة غير حكومتهم ومدنية غير مدنيتهم حتى ودين غير دينهم فضلا عما يستفيدون من سماحة الاسلام وسعة مذاهبه مستعمليها فى غير مواضعها روماً لتأييد الباطل بالحق ولا يجدر بنا أن ننقض مساند فتنة الترجمة الفقهيةَ حتى اذا وصلنا الى مساندها السياسية نتهيبها فنكف عن نقضها

ان الاستاذ لم يكتب ما كتبه فى مسألة ترجمة القرآن واقامتها مقامه فى الصلاة وغيرها ابداءً لما وصل اليه نظره فى درس مسألة فقهية بل كتبه دفاعا عن رجال الترك الحديث باسم الدفاع عن أمة الترك المسلمة ولذا بدأ كلامه بالبحث عن فوزهم على جيش اليونان فى الاناضول وعده معجزة توجب الايمان بمن ظهرت فى يده وبكل ما أتى به بعدها من الاحداث فكأن تلك المعجزة هى جواب كل نقد يورد عليهم لا سيما بعد أن انسحبت الجيوش التى كانت احتلتْ الاستانة عقب الحرب العامة تهيباً منهم وتنازلت الدول الغالبة فى معاهدة لوزان عن امتيازاتها وقد كانت أثقلت كواهل الترك القديم مدى الاعصار

والمعجزة التى تكلم الاستاذ عنها بملء شدقيه ، وجعلها ميزة لترك أنقرة ،

حصلت عند ما دعا ملاحدة الترك مسلميهم الى الدفاع عن دينهم وخلاقهم خديعة منهم وترائياً فى مرأى أعوانهما وهم أعداؤهما فانخدعوا بهم وآزروهم وضحّوا بالاموال والانفس وآزرهم المسلمون الاباعد وليس للاستاذ سبيل الى انكار مؤازرة المسلمين من الترك ان أنكر مؤازرة المسلمين من غيرهم ثم تبين أن الدعوة التى وقعت باسم الاسلام ومصلحته مسوقة لمصلحة الداعين الملاحدة وتمكينهم من القضاء على خلاقهم واسلامهم وعلى كل صلة كانت تربطهم بعالم الاسلام فهذا شرح تلك المعجزة وما آلت اليه بلا كذب فى نقطة منه ولا مبالغة وعهدنا بالمعجزة أن تؤيد الدين لا أن تنقلب عليه فالمسلم يستحيي أن يعدها معجزة بعد ما اتضحت حقيقتها وغايتها ولا يمكنهم أن يقدروا أبد الآبدين على الاتيان بثانية تلك المعجزة بعد أن قضوا بأيديهم على ما تأتّت باسمه وهو الدين ومع هذا فان فى حول تلك المعجزة أسراراً سياسية حفّتها وسببت مؤازرةَ الدول الغربية العظيمة المسيحية المنضمة الى مؤازرة المسلمين ولسنا بصدد شرح تلك الاسرار

فهل يظن الاستاذ أنه خرج عن عهدة حل تلك المسائل — والسياسة تجارة لا سماحة فيها ولا اعتداد بزخرف القول — بمجرد أن قال :

« هنا شهدنا وشهد العالم كله من آيات البطولة ومعجزات الرجولة ما لم يكن يطوف بخيال أحد أن يشهد مثله فقد أنجح الشعب فى أن يؤلف له جيشاً وأتاه بما قدر عليه من السلاح والذخيرة ورمى به فى ساحة الوغى وما هى الا جولة أو جولتان حتى رأيناه قد ألقى بمحتلّى بلاده فى اليم ثم زحف الى عاصمة بلاده يريد أن يجتذبها من أيدى مغتصبيها غير مبال بالاساطيل المكدسة حولها ولا عابئ بالجيوش المعبأة فيها هنا وجدتْ الدول المنتصرة أنفسها أمام شعب هب بمجموعه ينافح عن وجوده ويكافح عن كيانه وقد تحالف أن يبلغ ما يريد أو يموت فى سبيله فأدركتْ تلك الدول أنه لا توجد قوة فى الارض تستطيع أن تثنى شعباً الى هذه الدرجة من الاستبسال والاستماتة فلم يسعها الا مسايرته الى ما يريد

ولنزد الاستاذ منا على ماسبق منه : « فلو أصر الانجليز والفرنسيس والطليان على عدم التنازل عن امتيازاتها على دولة الترك لهذا الشعب الذى زحف على عاصمة بلاده واجتذبها من أيدى مغتصبيها غير مبال بالاساطيل المكدسة حولها ولا عابئ بالجيوش المعبأة فيها لزحف بعدها الى لندن وباريس وروما غير مبال ... »

هذا مبلغ منطق الاستاذ فى حل تلك المسائل السياسية ومنطقهُ فى مسألة ترجمة القرآن المبنية عليها والتى سعى لتبرير عمل الترك الحديث فيها على طول مقالاته ، يشبه هذا المنطق قوة وضعفاً فكأن الحرب العالمية وما بذلت فى سبيلها تلك الدول من النفس والنفيس وغلبتَها على الدول التى كانت دولة الترك واحدة منها وكان احتلال عاصمتها واحداً من نتائج تلك الغلبة ، ذهب كلها هدراً وهواء بنفس واحد نفخه الاستاذ من صور قلمه ، أو كأن الدول التى غلبت الترك اذ حاربتهم مع الالمان والنمسا والبلقان عجزت أمامهم لما انفردوا فى الحرب[1] فقد هان

---

(١) وهنا نلفت نظر الاستاذ الى ما قاله حمد الله صبحى وزير معارف أنقرة فى خطبة القاها فى مؤتمر جمعية المعلمين سنة ١٣٤١ :

«أيها السادة أن تركيا اليوم تمثل الغرب فى الشرق وانا حاربنا الغربيين للدفاع عن دساتير الغرب فغلب الاوربيون ولكن الاوربية ظافرة ولو غُلبنا لكان النجع لاسيا الخلق والاسيوية . انتم المعلمين حال كونكم ملقنى هذا الحديث الجديد الذي كامناه الى أذن امة الترك تبنون شكل حياة ابتدأت مكان حياة انتهت (جريدة الوطن ١٣ حزيران ١٣٤١)

وسمعت من الوطني الكبير والنائب القدير عبد الرحمن بك عزام أنه لما حضر مؤتمر البرلمانات المنعقد فى امريكا الجنوبية قبل بضع سنين مندوبا من برلمان مصر وكان مندوب تركيا فالح رفقى من رجالها الحديثين المعروفين فاراد مندوبو البلاد الاسلامية والشرقية أن يؤلفوا بينهم اتفاقا وتعاضداً يستفيدوا من قوته فى المؤتمر فيستمع الى مطالبهم فيه ففعلوا ووفقوا واكتسبوا احترام الجمهور وكانوا فى أول أمرهم دعوا فالح رفقى لينضم الى فئتهم ويحضر مجتمعاتهم فأبى قائلا ان الترك اليوم لاتعد نفسها أمة شرقية ووقف بمعزل عنهم فتعجبوا منه وتعجب مندوبو البلاد غير الشرقية أيضا من موقفه

فاذا كانت الترك الحديثة حاربت لاعلاء كلمة الغرب فى الشرق كما شهد به حمد الله صبحى ، وهي

على الاستاذ أن يُرِى قراء مقالاته الترك المغلوبين أمام الدول التى حاربتهم غالبين عليها كما هان أن يكسو ملاحدة الترك بمناسبة فتنة ترجمة القرآن ثوب الاسلام بعد ما انتزعوه بأيديهم وطالت مشاهدة الناس اياهم عُراة عنه فقام يناصرهم فى فتنتهم هذه من وراء البحار باسم شعب الترك واسلامه والحال أن الشعب واسلامه فى أيديهم كالمأسور فى يد عدو لا يرقب فيه إلاً ولا ذمة ليزيد هذا المناصر فى محنة الشعب التركى وليكون أشأم يد عاملة فى تعميم الفتنة بين شعوب المسلمين من غير العرب ساعياً لاستصغار أمرها فى أعين العرب خزنة كتاب الله العربى ، ومستحصلا على فتوى علمائهم فى تجويز الفتنة وتسويغها بكلمات مموهة تعمل فى العقول الضعيفة عمل الوسواس الخناس قال الله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾

لاتعد اليوم نفسها من أمة الشرق كما شهد به فالح رفقى لما للاستاذ فريد وجدي أو غيره من الشرقيين من بطولتها ومعجزتها ؟ على أنها ان كانت محاربة مع اليونان فقط فليست هذه بأول غلبة الترك على اليونان وان كانت محاربة مع حلفاء اليونان أيضا أعنى الدول العظيمة الغربية فما معنى محاربتهم لاعلاء كلمتهم وهل سمعتم قبل هذا محاربة يقصد بها اعلاء كلمة الاعداء المحاربين على كلمة الامة المحاربة المسلمة فتبين أن تلك الحرب العجيبة التي يعتبرها الاستاذ فريد معجزة البطولة كانت حربا مدبرة ضد الاسلام باتفاق ومواضعة بين الطرفين المتحاربين وتبين أن الملاحدة مؤيدون من دول الغرب ومؤازرون فى اجراآتهم ضد الاسلام فى تركيا وقد كنا نحن قبل أن أفشى وزير معارفهم السر وتكلم ذاك الكلام الجديد موقنين بان ملاحدة الترك وحدهم لا يقدرون ولا يجترئون على القضاء على دين الشعب المعروف بديانته وشجاعته وان كان جيش الشعب فى أيديهم

تحرير المسألة

استدل فضيلة الاستاذ المراغى على رأيه فى مسألة ترجمة القرآن بنقول من كتب الفقه وكلام الفقهاء فلم استغرب ذلك منه ، واستدل الاستاذ فريد بنقل من شرح الملتقى ثم أضاف اليه غيره وذكر مذهب أبى حنيفة وصاحبيه فاستغربت منه ذلك كل الاستغراب لان الاستاذ لم يدافع عن حادثة ترجمة القرآن مجردة عن محدثيها كما دافع فضيلة الاستاذ وانما دافع عنها من حيث انها صنيع رجال تركيا الحديثة بل الاستاذ فريد يُرَى انه يحامى عنهم أكثر من محاماته عن المسألة فأصبحت مسألة ترجمة القرآن بتعيين مصدرها مسألة القضاء أكثر من أنها مسألة الفتوى وهو وان لفت الانظار عند تصوير المسألة الى معجزة الترك الاخيرة لتكون عوناً له فى تجويزها الا ان تعلقها بالترك الحديث مما يضر بها وينقلب على الاستاذ لأن الترك الحديث لاديني وقد كان حتما على كل من ينظر فى مسألة ترجمة القرآن التى حدثت فى هذه الآونة أن لايلاحظها مجردة عن محدثيها الذين هم ملاحدة الترك ولا يذهل عن أغراضهم ومقاصدهم ومن القواعد الكلية المقررة عند الفقهاء (ان الامور بمقاصدها) فمسألتنا الموضوعة على بساط البحث والخلاف ترجمة القرآن الكريم بأمر حكومة أنقرة اللادينية (لائيك) واقامة المترجم مقام الاصل فى الصلاة وغيرها اعنى ان الشعب يصلى هكذا بأمر الحكومة وان كان الآمرون غير مصلين ولا معترفين بفريضة الصلاة فان كان لابد من اجتناب المفتى والمستفتى تعيين الاسماء فالمسألة ترجمة القرآن تحت أمر اللادينيين وإشرافهم. والفقهاء استعملوا فى مثل هذا المقام عبارة (المتهم فى دينه) وان كان تعبيرهم ذاك فى حق القارئ لا الآمر ولا شك ان الملاحدة أشد من المتهم فالواجب على المفتى الحاذق والمستفتى المخلص ان لايُغفلا النظر الى حال الذين

تو لوا أمر الترجمة وأحدثوا فتنتها والا فأدنى مساحمة أو ضعف فى واجب المحافظة على مصلحة الاسلام و بكارة القرآن يسبب رواج أعمال اللادينيين و يخدم أغراضهم و يؤيد الفتنة اللادينية من حيث لايشعر الخادمون و يكون و زره عند الله عظيما ولو فرضنا جواز ترجمة القرآن فى نفسها واقامتها مقامه على مذهب من المذاهب المعروفة الاسلامية فلن يجوز ذلك للادينيين فالم وهذه الترجمة وما مناسبتهم بالقرآن الذى لا يمسه الا المطهرون وهم قطعوا صلتهم بدين الاسلام ونادوا بالحكومة اللادينية وما علاقتهم بكتاب الله وهم تبرأوا عن الله حتى جردوا أيمانهم عن اسمه العظيم واختاروا الإقسام بالشرف وهكذا وقعت أيمان الصداقة للوطن والجمهورية بألسنة نواب المجلس الأخير فى مبدأ انتخابهم و بلسان رئيس الجمهور فى مبدأ انتخابه الاخير . وهذا أمر ثابت معلوم لكل أحد لايقاس بما رواه الاستاذ فريد فى اسلامهم عن مراسل المقطم فى الاستانة وكيف تُصدَّق دعوى اسلام اللادينيين وكيف تبقى على اسلامها حكومة ألغت المادة المصرحة فى القانون الاساسى بأن دين الدولة الاسلام وكتبت بدلا عنها فى القانون المدنى مادة (رقم ٢٦٦) تصرح بأن من بلغ رشده فهو حر فى اختيار أى دين يشاء

و يعلم المسلم العاقل ان مشروعهم هذا أعنى ترجمة القرآن واقامة المترجم مقامه لا يكون مبنياً على انهم وجدوا سبيلا الى جوازها من طريق كتاب فقهى يعمل به المسلمون أو مذهب امام من أئمتهم كما وجد الاستاذ فريد لأن أولئك الملاحدة أبطلوا تلك المذاهب الاسلامية وعطلوا تلك الكتب الشرعية ومنعوا دراستها فهل يستطيع الاستاذ أن يذكر مدرسة تركية حكومية يُعلَّم الطلبةُ فيها قراءة القرآن أو يذكر اسم أىّ كتاب دينى يدرس فيها والا تكون الحكومة اللادينية دينية ولم يُجب الاستاذ عند اصراره فى دعوى وجود التدريس الدينى بمدارس تركيا عن قول الاستاذ التفتازانى المسكت وهو « ان تركيا حرَّمت على مدارس الرسالات الاجنبية تدريس الدين فى المدارس ولم يكن لها اسناد فى هذا المنع الا انها قد منعت

من ناحيتها تدريس الدين الاسلامى فى مدارسها التركية »

الحاصل ان اصرار أحد من عقلاء المسلمين على ادعاء الاسلام لحكومة تركيا اللادينية فضيحة أمام المنطق وأمام الامم العاقلة تعم وصمتها الاسلام وهل لايكون تلاعباً بالاسلام والمسلمين مافعله الاستاذ فريد من اتيانه بسند من كتاب فقهى ومذهب اسلامى لتأييد عمل من أعمال الذين أبطلوا تلك الكتب والمذاهب واثبات جوازه شرعاً والحال انهم لايحاولون فى أحداثهم ماهو جائز فى نظر الشرع الاسلامى بل يحاولون ما لايجوز وينشدونه جهد طاقتهم فان كانت ترجمة القرآن وقراءته مترجمة فى الصلاة جائزة فهى لاتسرهم ولا تروبهم فليدلهم الاستاذ على مالايوجد الى جوازه سبيل ليفعلوه وقد تصدوا لترجمة القرآن واستبدالها به على ظن انها ضربة قاسية تكبد الاسلام وتعجل موته ان لم تمته الضربات المتقدمة فى تركيا . أجل انهم يتطاولون حيناً فحيناً الى أقصى ما بقى من الاعمال غير الجائزة فيقذفون مسألته أمام عالم الاسلام حتى يبحث الباحثون الغافلون فى جوازه أو عدم جوازه شرعا وهم يضحكون وراءهم من عقلية الباحثين وفضوليتهم كأنهم يرجعون عما أرادوا أن يحدثوه ان لم يوجد له منفذ شرعى وقد كنت حسبت الاستاذ فريد فى أول الامر من أولئك الغافلين الى أن كتب فى أخريات كلماته « ان اليابانيين لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد أن خرجوا من جميع تقاليدهم القديمة وجعلوا حكومتهم لادينية وانتحلوا علوم أوروبا وثقافتها حتى الحادها وقلدوا الاوربيين فى مراقصهم وملاهيهم » ففهم من هذا الكلام - لاسيما وهو فى سياق مدافعاته عن ملاحدة الترك - ان المسلمين فى رأى الاستاذ لايصلون الى ماوصل اليه اليابانيون من الرقى الابعد تقليد أوروبا حتى فى الحادها ولهوها ورقصها كما قلدت اليابان وكما قلدت تركيا فهلا له اذن أن لايشوب دفاعه عن رجال الحكومة التركية بادعاء الاسلام لهم ويخلص فى دعوى الرقى ويقول انهم ما وصلوا اليه ولا يصلون الى ما أرادوا أن يصلوا اليه الا بعد أن قلدوا أوروبا حتى فى الحادها ورقصها ولهوها

كما قال عن اليابانيين صدقا أو كذبا فلماذا لا يدعى الاستاذ ديانة اليابانيين أو لا يسلم الحاد الترك الحديث مع ان اليابانيين أقرب الى الديانة منهم لكن الاستاذ يتكلم بما يقضى به هواه و يكون أدخل فى اضلال المسلمين ولا احتمال لمجيء الضلال اليهم من اليابان احتمال بمجيئه من تركيا

تحرير الخلاف واعجاز القرآن

فرق مابيننا و بين دعاة الترجمة اجمالا انهم يدعون الاعاجم الى تراجم يتلونها فى الصلاة وغيرها كما يتلى القرآن ونحن لانوافقهم عليه وان جوزنا تراجم يطالعونها كما يطالع أحدنا التفاسير ونعتبرها تفسيراً موجزا ولا نقول بامكان ترجمة تقوم مقام الاصل وتساويه فى أوصافه السامية كما يقول الاستاذ فريد ولا بترجمة تكون منحطة عن رتبة الاصل وتقوم مع ذلك مقامه كما يقول به فضيلة الاستاذ المراغى ولا يلتزم الاستاذ فريد أن تسمى الترجمة قرآنا وان ادعى امكان أن تساويه فى الاعجاز وتجوز تسميتها قرآناً عند صاحب البدائع لكنه قرآن غير معجز ولا تجوز على ماهو المختار عند الاستاذ المراغى ومع ذلك يجوز قيامها مقامه ففى كل رأى من هذه الآراء شيء يختص به من عوج المنطق ولو لم يكن ما قاله الاستاذ فريد فاسد الاساس لكان انتظام المنطق فيه أكثر من غيره فهو يقدّر انه لاتجوز اقامة شيء مقام مالايساويه فى صفته الممتازة ولا يفوته مع ادعاء امكان أن يوجد التساوى بين القرآن وترجمته فى الاعجاز أنه لاتسمى ترجمة القرآن باسم القرآن فاذن يرد عليه ان المصلى مأمور بتلاوة القرآن مع مايرد عليه من فساد أساسه وهو امكان أن تساوى الترجمة أصل القرآن ولتصحيح هذا الاساس يدعى ان اعجاز القرآن الذى لا يمكنه انكاره انما هو فى سمو معانيه وحكمه لا فى بلاغة ألفاظه والمعانى تنتقل الى الترجمة فتكون معجزة كأصلها وهذا نص الاستاذ:
« ان القرآن معجز بحكمه وأصوله ومذاهبه لا بألفاظه ومبانيه وهو لم يتحدَّ أحداً

ببلاغته وانما تحدى الانس والجن أن يأتوا بمثله فى حكمته وشرعته » وكما أنكر هنا اعجاز القرآن من ناحية بلاغة الالفاظ أنكر فى محل آخر من كلامه قداسة الالفاظ وكان حسبه فى ادراك قداسة النظم أن القرآن منزل من عند الله بلفظه ومعناه وقد سبق تحقيق بحثه فى النظرة الثانية والاستاذ فريد أكثرَ فى مقالاته كالاستاذ المراغى من ذكر حاجة المسلمين غير العرب الى فهم معانى القرآن وزاد فقال فى أخريات مقالاته ان القرآن العربي لا يُحسن فهمَه حتى أهلُه فأشار الى ان العرب أيضاً ليسوا فى غنى عن ترجمة القرآن الى عربى أوضح منه أو الى لغة الفلاّح ولو انتدبنا الاستاذ للقيام بترجمته الى عربى أوضح منه فلا مانع من أن يجيبنا اليه وتكون هذه الترجمة أشبه منها بمعارضة القرآن وان كان الاستاذ يخفف عن غُلَوائه بدعوى ان القرآن غير معجز بلفظه وانه ماتحدى أحداً ببلاغته وفى مقالاته عند تكلمه عن بلاغة لغات الاوروبيين وبراعة كتّابهم فيها كاد يقول انهم قادرون فى ترجمته على أن يأتوا بأبلغ من أصله وكل ما ادعاه الاستاذ ظلمات بعضها فوق بعض وانى أظن ان مذهبه الحقيقى عدم كون القرآن معجزا بمعناه أيضاً لكنه الآن لايبوح بتمام مذهبه ولعله يدّخره لمرحلة أخرى تصل اليها أنقرة بعد مرحلة الترجمة ويكذبه اليوم فى قصره الاعجاز على معانى القرآن قوله تعالى « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » فهذا تحدٍّ صريح بالقرآن المجرد عن حكمته ومحكم شريعته ويؤيده ان التحدى بعشر سور وقع بعد التحدى بسورة فى سورة يونس فكان التحدى الاول فى نظمه ومعناه فعجزوا عن معارضته فطالبهم بمعارضته فى بلاغة نظمه وان خلا عما تضمنه من الحكم واصول التشريع والا فلا وجه لمطالبة العاجزين عن الاتيان بسورة بأن يأتوا بعشر سور مثله وهذا التوجيه اختاره المبرد وابن عطية وقوّاه الشهاب الخفاجى فى حاشية أنوار التنزيل وقد استدل الامام الرازى بهذه الآية على ان اعجاز القرآن فى نظمه وعلى تفسير المفتريات بالمختلقات من عند الرسول المكذوبات فى نسبتها الى الله تعالى كما ذهب اليه الكثير من

أهل التفسير بناء على أن التحدى بعشر سور مقدم على التحدى بسورة وان تأخرت آيته فى ترتيب السورة و يناسبه قوله (أم يقولون افتراه) فالافتراء بهذا المعنى أيضاً يخل باعجاز المعنى وكفى بالكذب نقصاً فى قيمة الكلام المعنوية فيقتصر التحدى في الآية على التقديرين على بلاغة النظم

ثم ان الاستاذ لكونه من الكتّاب غير المحتاجين الى التفكر والتدبر لم تهده ذا كرته عند تحرير الكلمات التى نقلناها عنه فى اعجاز القرآن الى أن ملاحدة أنقرة الذين يدافع الاستاذ عن اسلامهم نبذوا أولا شريعة القرآن وأبدلوا بها شريعة سويسرة قبل أن ينبذوا نظمه و يبدلوا به الترجمة ولم يؤنبهم الاستاذ عند النبذ الاول بأنه لا يؤتى بمثل القرآن فى حكمته و شرعته ولو اجتمع الانس والجن بل أخّر كلمته فى اعظام شريعة القرآن الى يوم ينبذون لفظه تذرعا من إكبار المعنى الى استصغار أمر اللفظ و تيسيراً للنبذ الثانى على الافهام ، هذا مع أن أئمة البلاغة وصيارفة الادب مجمعون قديماً وحديثاً على اعجاز القرآن من ناحية بلاغته أيضاً ومعلوم أن الذين تحداهم القرآن عند نزوله كانوا قوما أميين مباهين ومشهورين ببلاغتهم وفصاحتهم لا بحكمتهم فلا يؤثر فى نفوسهم التحدى بالحكمة التى حازها القرآن أيضاً تأثير تحديه ببلاغته والاستاذ فريد ان لم توقظه من غفلته شهرة القرآن القديمة فى بلاغته المعجزة فليعتبر من قول أمير الشعراء فى هذا العصر فى همزيته النبوية :

أشرف المرسلين آيته النطق مبينا وقومه الفصحاء
لم يفُهْ بالنوابغ الغر الا سبق الخلق نحوَه البلغاء

نعم قال بعض المحققين من علماء الدين ان القرآن قد يفارق الاعجاز لا لعدم كونه معجزاً بنظمه وبلاغته بل لكون الاعجاز تابعاً لازما لمجموع القرآن ولأ بعاض منه خاصة لا لكل بعض مثل قوله تعالى (حرمت عليكم امهاتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم) الى آخر الآية كما فى تحرير العلامة ابن الهمام فأنت ترى أن علماء الدين

قد بلغوا أقصى الغايات فى درس مسألة اعجاز القرآن فجوزوا خلو بعض الآيات النادرة عن وصف الاعجاز ولهذا لم يأخذه بعضهم فى تعريف القرآن ولكنهم أنفسهم أخذوا فى تعريفه العربية مع الانزال والتواتر لعدم انفكاكها عنه مثالها وقولهم بعدم وجود الاعجاز فى بعض الآيات لا يقاس قطعاً بنفى الاعجاز عن بلاغة نظم القرآن العربى كما ادعاه الاستاذ فريد توسلا بهذه الدعوى الباطلة الى دعوى أخرى باطلة من امكان ترجمة القرآن بحيث لا تنحط مرتبة التراجم عن أصلها فى بلاغة النظم وطلاوة الاسلوب وناهيك من نقص الرجل فى عقله أو ايمانه بأن القرآن كلام الله المنزل بنظمه العربى تسويته بين نظم القرآن الذى أنزله الله من عنده وبين نظم التراجم التى يؤلفها كُتاب الترك أو أدباء أوربا فالعلماء لا ينكرون قطعاً ما أنكره الاستاذ من اعجاز القرآن من ناحية نظمه وبلاغته وكيف يتصور منهم انكاره وانهم أدلاؤنا فى الاهتداء الى أسرار بلاغة القرآن واعجازه وانما العلماء جوزوا عدم حيازة بعض الآيات ما حازه غيرها من البلاغة الواصلة الى حد الاعجاز فاذا كان لا شك عندهم فى وجود الاعجاز فى بلاغة نظم القرآن العربى كما قالوا ان الاعجاز تابع لازم لمجموع القرآن أو لأبعاض منه خاصة ؛ فالترجمة تفقد هذا الاعجاز وتنحط عن الاصل قطعاً ، وهذا طبعاً غير ما يقوله الاستاذ المجترئ على كلام الله المنزل

ثم انا نقول ان قوله تعالى (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف) الذى جمع محارم الرجل ورتبهن له مكانة القرآن المعجز فى حكمته وشرعته ولا يكون طبعا هذا القول منا تأييد ما ادعاه الاستاذ من تخصيص اعجاز القرآن بحكمته وشرعته بل ان قولنا هذا الذى لا نشك

فى أن يقبله من قال بعدم الاعجاز فى الآية يدل على أن اعجاز القرآن الذى ملأت شهرته الأقطار وآمن به الصغار والكبار من المسلمين وكان مبدأ شهرته بهت بلغاء العرب وعجزهم عن معارضته حينما نزل بين أظهرهم وتحداهم ولا زال كذلك ، فهذا الاعجاز الذى عُرف به القرآن واشتهر أمره عند كل أحد يراد به الاعجاز من حيث بلاغة النظم وان كان معجزاً بحكمته ومحكم شريعته أيضاً لكن المشهور اعجازه من النوع الاول لكون التحدى به فعل فعلته عند نزوله على قوم ليس حظهم من الحكمة كحظهم من البلاغة ولما كان المتعارف من اعجاز القرآن اعجازه بهذا المعنى جوز بعض المحققين من علماء الاصول خلوّ بعض الآيات فى النادر عن وصف الاعجاز كآية المحارم وإلا فهم يعترفون بأن ما اشتملت عليه من الحكم التشريعى حكمة معجزة ليست وراءها حكمة ، والقرآن معجزة بلفظه ومعناه الى يوم القيامة وان ترجمته لن تبلغ مرتبة أصله فى بلاغة لفظه واحاطة معناه ، فكمال القرآن فى معناه لاينفع الاستاذ المنكر لكماله فى لفظه تجويزاً لترجمته بل يجعل الترجمة مستحيلة من ناحية المعنى أيضا حيث لايمكن احاطة ذلك المعنى الاكمل الذى لكل عصر ولكل قارئ متدبر قسط من اكتشافه ، بلفظ غير اللفظ الذى اختاره الله له . على انى لا أخشى أن أخالف أولئك الأجلة فأقول : ان آية المحارم معجزة بنظمها أيضاً فارجع البصر هل تجد نظما غيره يعدله فى افادة المعنى المقصود منه مع حسن الترتيب وكمال التسوية بين اللفظ والمعنى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير

فاذا انتقينا من أقوال كل من معارضينا الثلاثة ماتظهر جدارته بالتسليم ونبذنا منها ما يظهر بطلانه ويشهد له بالبطلان بعضهم على بعض نصل الى وسط بيننا وبينهم قاض باستحالة ترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل ، فترجمة أى كتاب لايصح أن تقام مقامه حال كون الترجمه منحطة عن مرتبة الاصل فى وصفه الذى يمتاز به كاعجاز القرآن . وقد أدرك الاستاذ فريد هذه النكتة فاضطُر الى ادعاء امكان أن يؤتى بتراجم للقرآن لاتنحط بلاغتها عن بلاغة القرآن وهو يدرى جيداً انه

إن سلّم انحطاط التراجم فلا تسلم له ولا تستقيم قضية اقامتها مقام الاصل كما لم تسلم ولم تستقم على صاحب البدائع، وفضيلةِ الاستاذ المراغى . فالاستاذ فريد يتفق معنا فى عدم الاعتراف بتراجم منحطة تنوب عن القرآن العالى المكان ويدرك لزوم كون النائب فى مرتبة المنوب عنه لتصح النيابة وإلا فالاستاذ لم ينكر اعجاز لفظ القرآن ليقيم شاهداً على نفسه بالجهل والجرأة على كتاب الله وهو أعلى مكاناً وأعقل من أن يخطئ عبثاً وإنما ساقته اليه ضرورة تسديد أمر النيابة فادعى أنه لا إعجاز فى لفظ القرآن حتى يزول فى الترجمة بزوال اللفظ ويحصل التفاوت بين مكان النائب والمنوب عنه، لكن دعوى الاستاذ باطلة يتفق معنا فى ابطاله أنصار الترجمة غيره كفضيلة الاستاذ المراغى وصاحب البدائع ولن يرضيا بذلك الشذوذ المردود رأيا

خسارات القرآن فى التراجم

نخسارة القرآن عظيمة فى التراجم من حيث أنه يفقد اعجـازه فيها وليس بخارج عن مقاصد الملاحدة الذين أحدثوا فتنة ترجمة القرآن فى تركيا ان الترجمة اذا انتزعت من بلاغة القرآن وإعجازه طبعاً يحتمل أن لاتعجب الناس فيسقط القرآن من عيونهم وتزول مهابته ومحبته من قلوبهم وفى العادة أن الآثار البليغة تأبى الترجمة ويكون إباؤها بقـدر علو رتبتهـا فى البلاغة فتكون ترجمة البليغ أسمج من ترجمة الابلغ . ففى اعجاز القرآن أعظم مانع من ترجمته، وقد أثبتنا فى النظرة المتقدمة أن وجوب كون القرآن متواتراً يمنع ترجمته القائمة مقام الاصل كل المنع . وللناس فى آثارهم ومؤلفاتهم حقوق محفوظة يملكونها ويعترف لهم بها قوانين البلاد المدنية ومن تلك الحقوق أنه لايجوز لأحد أن يترجمها إلا برخصة من المؤلف فهل يعد كلام الله أهون من كلام البشر حتى لا يرى له من مثل هذا الحق مايرى لهم ؟ ولا يخفى أن نظر المعترفين بهذا الحق غير مقصور على استئثار صاحب الاثر بفوائده المادية بل المؤلفون أصحاب الشأن يعنون فوق ذلك بأن

تحفظ أوصاف آثارهم العالية فى الترجمة فلا يجترئ أحد أن يتناولها إلا باذن خاص منهم ليأمنوا على مصونية قيمتها ولا يلحق النقص بسمعتها من ناحية المترجم وإنهم لايأذنون فى الترجمة بتاتاً لمن لا يساويهم أو لا يقاربهم فى العلم والادب كيلا يفقد الاثر خواصه الرفيعة . ولا شك فى قصور قدرة مترجمى القرآن وبُعد رتبتهم من مُنزل القرآن ولا كبعد أدنى مترجم من أفضل مؤلف فلا شبهة فى عدم الاذن . وكل كلامنا فى الترجمة لا فى التفسير بل كلامنا فى الترجمة التى يراد بها أن تقوم مقام الاصل وكل ترجمة لايُدَّعى قيامها مقـام الاصل فتعتبر تفسيراً موجزاً وتكون جائزة طبعاً فليقرأ الاتراك فى صلاتهم وخارج صلاتهم القرآن الذى كانوا يقرأونه من قبل وقرأه آباؤهم وأجدادهم وليطالعوا على معنى ماقرأوه فى صلاتهم بذلك التفسير المفصل أو الموجز الذى لامانع من أن يرجعوا اليه فى خارج صلاتهم وهذا القدر كاف فى اسقاط كلمات الاستاذ فريد على طولها فى تفنيد احتكار فهم معانى القرآن واحتجانه للعرب وتفنيد قراءة غيره فى صلاته مالايفهم معناه لأن مايقرؤه العامىّ فى صلاته يكون سوراً أو آيات محدودة ليس من الصعب فى شىء أن يتعلم معناها فى خارج الصلاة فان تـكاسل عنه يلزمه أن يستحيى فيـكفّ عن الشكاية من عدم فهم معناها وعن تحميل تبعـة تقصيره على أحكام دينه مع أن الانسان فى الاعصر الاخيرة يقتحم لدنياه تعلم لغة أجنبية بتمامها أو لغات والتكلم بها طوال أيامه ولياليه فان لزمه الاستحياء فبالأولى أن يلزم الحاكى عنه الشاكى المُبالغ فى الشكاية والفضولية

ومن المفاسد والمضار المترتبة على فتح الباب لترجمة القرآن الى غير لغته المنزل بها والذى توارثه المسلمون واتفقوا عليه الى هذا اليوم ، مفسدة تعـدد التراجم واختلافها لا على عدد أقوام المسلمين وعدد لغاتهم فحسب بل يتعدد القرآن فى أمة واحدة بعدد المترجمين منهم ويحول بين التراجم فروق عظيمة لاتختص بالالفاظ بل تتناول المعانى أيضا للفرق بين فهم مترجم ومترجم ولكون كثير من الآيات

محتملة على عدة معان مختلفة لايرى مترجم واحد على الاقل أن يقتصر على بعض منها فيلزمه أن يذكر تلك المعانى أو على الأقل ما يتساوى منها فى القوة بأداة الترديد التى خلا عنها القرآن العربى ويحتمل أن يكون بعضها غير ما أراده الله فيدخل فى القرآن ما ليس منه وعلى الاقل تدخل فيه شبهة الدخيل وقد بينا فى النظرة الاولى احتمال وقوع الخطأ فى التراجم بجميع أنواعها و بنيناه على اعتراف فضيلة الاستاذ المراغى وهذا التردد والتعدد فى ترجمة مترجم واحد فما ظنك عند تعدد المترجين ولهذا اختلف المفسرون فيختلف المترجمون أيضاً ولا يمكن أو لايدوم منعهم عن الاختلاف ولا يلتئم مع مسلك من سعى فى تجويز ترجمة القرآن وتحريره عن الانحصار بلغة العرب ،حجر بعض المترجين عن الترجمة أو عن المشى فيها على غير أثر المترجم الاول فى اللفظ والمعنى وقياسُ الاستاذ فريد ترجمة القرآن بترجمة آثار المؤلفين حيث قال « ان أكثر ما يعرف بين الكتاب اليوم نقل المؤلفات من لغة الى لغة فلم يسمع أحد أن مترجماً عدل من ترجمة كتاب الى تفسيره » قياس مع الفارق العظيم بين كتاب الله ومؤلفات البشر ومهما تيسر للمترجين من اتفاق الآراء واتحاد الكلمات فلا مندوحة من اختلاف التراجم على اختلاف المذاهب الاسلامية التى يجد أصحابها مايلائمها فى القرآن و يبنون أقوالهم على ما فهموا فلا بد أن يختلف قرآن الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة فيقال هذا قرآن الحنفية وذاك قرآن الشافعية أو المالكية أو الحنابلة بل قرآن المعتزلة والاشاعرة والشيعة وهلم جرا وهذا تعدد ضرورى ينضم اليه اختلاف المترجين على حسب أذواقهم وأساليبهم وأساليبُ الكتابة تتجدد بتجدد الاعصار فيحصل الاحتياج فى كل عصر جديد الى ترجمة جديدة فيزداد أعداد التراجم و يختلف أذواق الناس أيضا فترى بعضهم يقول انى أرجح قرآن فلان نسبة الى اسم المترجم وأقرؤه فى صلواتى وخلواتى والبعض الآخر يقول غير ذلك

وقد سبق ان فضيلة الاستاذ المراغى اعترف بأن كل آية لاتقبل الترجمة

الحرفية اللازمة للقراءة فى الصلاة ويقع الاختلاف فى تعيين هذه الآيات بين المترجين فيقال مختارات فلان ومختارات فلان ويختلف الناس عليها اختلاف المترجين وتفترق المساجد وتختلف على اختلاف الاقوام والمذاهب فى بلدة واحدة واذا جمع المكان الواحد شتات المسلمين مثل الحرم المكى وجاء وقت الصلاة يلزم أن يتفرقوا على عدد أجناسهم فلا تكون الصلاة جامعة فان قال الاستاذ فريد فليصلّ بهم فى تلك الحالة امام واحد وليتبعه من عداه لزم أن تكون صلاتهم تجاه الكعبة وفى أشرف المساجد على وجه لم يستحسنه الاستاذ وبالغ فى تزييفه بكونه عبادة لايفهم المتعبد معنى مايتلى فيها . ثم انه يحار من أراد أن يحفظ القرآن المترجم الى لغته فى اختيار أى ترجمة انتشرت بين أهل تلك اللغة ويخاف أن تذهب مساعيه فى حفظ ما حفظ هدراً لاحتمال أن يرغب عنه الناس الى ترجمة أخرى موجودة أو ستوجد وتفوق تراجم الاولين . وفى النتيجة إما أن يقع التشتت والتفرق بين كلمات الحفاظ أو تنتهى عادة الحفظ وينقرض الحفاظ وعلى كل تقدير يحصل ما أراده ملاحدة الترك والاستاذ فريد الذى سعى فى مقالاته أن يجعل القرآن كالانجيل فى تعدده وغلبة ترجمته على أصله بل وضياع أصله وهو مايسعى له ويتمناه أعداء الاسلام قبل الاستاذ حسداً من عند أنفسهم على كتاب المسلمين الذى صانته وحدته الى اليوم فبقى كما نزل به الروح الأمين لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وليعتبر الاستاذ مما قالته جريدة المانشستر جارديان ونقلته الاهرام ولفت الاستاذ اليه الانظار وجعله عبرة للمتوسمين :

« ان الغربيين الذين تشبعوا بفكرة ترجمة الانجيل سيندهشون مما علموا من قرار مؤتمر العلماء أن القرآن لاتزال ترجمته تحرم الى اليوم » وبما قالته تلك الجريدة الغربية بعد أن ذكرت زعم الاتراك بأن اتصالهم ببلاد العرب وبما هو عربى كان السبب فى انحطاطهم : « إن العالم الاسلامى بعد أن تذهب عنه دهشته

يوشك أن يقلد مافعلته أتراك أنقرة المحاربين للخرافات والبدع (تأمل) من نبذ اللغة العربية وإسقاطها » والامر بالتأمل من الاستاذ فريد فليتأمل هو وليعتبر لنفسه مما نقله بدل أن يجعله عبرة للناس، فالاستاذ يريد أن يفتى فى مسألة ترجمة القرآن مستنداً الى ما قالته جريدة غربية والجريدة تخشى وتتلاشى من خوفه أن يظهر قرار مؤتمر العلماء فى مصر بما يحفظ مصلحة الاسلام ومناعة مكان القرآن أن تتلاعب به الايدى فلا يحصل ما أمله الغربيون من فوز أتراك أنقرة فى محاربة الخرافات (تأمل مرة ثانية) وتقليد عالم الاسلام إياهم ، فجريدة الغرب تهدد الشرق وعلماء الاسلام لئلا يعرقلوا محاربة أتراك أنقرة التى تترقى من يوم الى يوم فتريهم الجريدة مايسلكونه فى قرارهم من سواء السبيل ويهديهم الى مراشد الغرب أستاذ الشرق الذى سئم من طول خدمة الاسلام فانبرى يهدم ما بناه . والعجب أن الاستاذ لم ينتبه من قول أستاذه الغربى عن زعم الاترك (أتراك أنقرة) أن اتصالهم ببلاد العرب وبما هو عربى (تأمل مرة ثالثة) كان السبب فى انحطاطهم أو لم يرقه هذا القول لابانته عن مكيدة أستاذه وطوية المحاربين ، حتى قال بعده منكراً لاتهام الاتراك بأنهم يكرهون العربية : « هل من سبب يحمل الترك على كراهة العرب ، هل كانوا يحملون نير سلطانهم فهم يبطنون ضغناً عليهم لما ذاقوا من عسف حكمهم وهل كانوا يرون العرب مزاحمين لهم فى الملك فكرهوهم حسداً لهم أو خوفاً منهم » وما قاله الاستاذ بين هذا وذاك من « أن الاتراك الذين يلتصقون اليوم بالاوربيين مستمدين فيض حياتهم ان كانوا يحذفون جميع الكلمات العربية من لغتهم فذلك بقصد توحيد لسانهم الذى يتفاهم به نحو ثمانين مليونا من جنسهم . والذى يثبت ما قلناه بدليل محسوس أن الاتراك يحذفون من لغتهم مايوجد فيها من الالفاظ الفارسية أيضاً » مجازفة ناشئة من جهل الاستاذ بلغة الترك وبعدم إمكان حذف جميع الكلمات العربية منها لكونها مركبة من تلك الكلمات بنسبة ثمانين فى المائة ، وإنا نسأل الاستاذ لماذا يسكت عن حذفهم

الالفاظ الغربية التي دخلت فى لغتهم فى العصر الاخير وهل لايجب حذفها مع الكلمات العربية والفارسية لتمحيض لغة الترك لكنهم فضلا عن حذفها يستبدلون بما استطاعوا حذفه من الكلمات العربية والفارسية كلمات أجنبية غربية زادت فى تخليط لغتهم بله تمحيضها ، فهم ينبذون كل قديم لهم لاتشذ من خطتهم هذه قوميتهم القديمة وان ظن الجاهلون أو المتجاهلون أنهم يسعون لقوميتهم فكل ما يطنطن به فى تركيا مقتصر على اسم الترك ومن ورائه القضاء على جميع مقومات المسمى حتى أننا لانُلام بالتكهن البعيد إن قلنا انهم فى مرحلة من مراحلهم الانقلابية ينبذون لغتهم بتمامها ويتخذون لهم لغة من لغات الغرب يلجئهم اليه ما يكابدون عناءه فى تمشية لغتهم بالحروف اللاتينية وعدم امكان الرجعة لهم منها . ومن المحتمل أن عدم التمشى كان معلوماً لهم ومقصوداً فى طريق المراحل وكل هذه الحركات الطائشة غير المعقولة مهما عظمت خسارة تركيا والترك بها فهى ما يحدوهم اليه واجبهم فى سبيل إبعاد تركيا عن دين الاسلام وإرهاق الترك بهذا الابتعاد فما هم غير سماسرة الغرب المسلطين على الاسلام من طريق تركيا التى رآها أعداء الاسلام أقصر الطرق الى غايتهم ولاعظام مراكزهم فى أعين المسلمين تنازلوا لهم عن امتيازاتهم على تركيا بلا سبب يضطرهم الى التنازل غير مساومات سرية ومعاوضات كالغاء الخلافة الاسلامية بأيديهم وما شاكلها مما حدث فى تركيا ضد الاسلام وكراهيتُهم العرب فرعُ كراهيتهم الاسلام حتى أن الاستاذ التفتازانى الذى سار مع الحق فى مسألة ترجمة القرآن أخطأ فى ظن أن مباغضتهم الاسلام نشأت من مباغضتهم العرب مع أن الأمر بالعكس والعاقل لايحب ديناً لحب قوم ولا يبغضه لبغضهم وربما يحب قوماً لحب دين ويبغضهم لبغضه

وما ذكرنا من استحالة حذف جميع الكلمات العربية عن لغة الترك الذى تكلف الاستاذ فريد للدفاع عنه مما لايزال يشهد به كتّاب الترك ذوو الآراء الرزينة ولو كانت ألسنتهم مطلقة لأمعنوا فى شهاداتهم وشكاياتهم عن موقف

تركيا الادبى المنحط بعد الانقلاب ، وفيما كتبه ملحق جريدة السياسة عدد ٢٧٢٣ عن شاعر الترك الاعظم عبد الحق حامد بك وما فاه به الشاعر فى حواره مع الشاب الاديب سامى الكيالى عبرة للمعتبر ، ومافاتت الشاعر الاعظم فى كلامه على حذف الكلمات العربية والفارسية شكايته عن الحروف اللاتينية وعدم ملاءمتها اللغة التركية ناشئ من كثرة الكلمات العربية فيها فليفهم منه الاستاذ درجة شدة التنافر بين تلك الحروف ولغة العرب وخطيئة الاستاذ فى ترجيحها للعرب يملأ تفصيلها مجلداً ، ناهيك أن الحروف اللاتينية تذهب بالعرب الناطقين بالضاد وتأتى بقوم آخرين

هل اجتناب ترجمة القرآن

يعد جبنا وفراراً بكتاب الاسلام عن نقد الناقدين

وأما ما أنحى الاستاذ عليه باللوائم من حبس الاسلام وهو دين عام فى دائرة العربية وصد القرآن عن الجولان فى الدورة الفكرية العالمية مع غيره من كتب الاديان وأسفار المذاهب وحرمانه من أخذ قسطه من تأمل العقول فيه ودرس أهل النقد له فى هذا العهد عهد تنازع المبادئ عهد تكافح الاديان والمذاهب عهد تحرر الامم الغربية عن الاحتكارات الدينية وأمثال ذلك مما أخذنا كله عن عباراته وأوهم أن دين الاسلام كأنه وضع فى صندوق وهرب من أنظار العالم كيلا يأخذ قسطه من تأمل العقول فيه ودرس أهل النقد له كما أخذ سائر الاديان[1] فافتراء على الاسلام وتعام عن موقفه الحر الممتاز بحريته على الاديان حرية نادى بها علماؤها قدما وقد نصبوه فى ميدان النقد والنقاش قبل تحرر الامم الغربية عن الاحتكارات الدينية وقبل أن يتصدى ملاحدة الترك لترجمة القرآن فأى دين

---

(١) هل يقدر أن يذكر لنا الاستاذ بحرية لائقة بعهد تحرر الامم عن الاحتكارات الدينية كم ثمرة كسب الدين المسيحى الحاضر بعدما أخذ قسطه من تأمل العقول فيه ودرس أهل النقد له؟

منح الباحثين فى عقائده وأحكامه حرية الوزن بميزان العقل كما منح دين الاسلام وأى دين غير الاسلام استنبطوا من كتابه وسنته علوما وقوانين موضوعة ومكشوفة أمام العالم ومدونة فى كتب تكتظ بها خزائن الكتب واشترك فى استنباطها علماء الدين من كل أمة اسلامية فهل تصح الشكاية عن الاحتكار الدينى فى الاسلام قبل مسألة ترجمة القرآن الحدثة؟ والله لا تصدر شكاية كهذه من صديق الاسلام أو عدوه المنصف

أما ترجمة القرآن وإقامة المترجم مقام الاصل فى الصلاة وغيرها والاستغناء عن الاصل أى القرآن العربى فى بلاد الاسلام غير العربية فهذه مسألة أخرى لا ترمى الى تعميم القرآن أو فهم معانيه بل ترمى الى انساء القرآن فى تلك البلاد على الاقل وإدخال الشبهة فيما يتداول باسمه على لغات وأساليب شتى وإضاعة القرآن فيما بين تلك التخاليط وقد قلنا فى النظرة السابقة التى انتقدنا فيها كلام صاحب البدائع ان شرط التواتر فى القرآن انما يسلم بتحديد ألفاظ القرآن والعدول الى ألفاظ التراجم ينافيه . وقلنا أيضا :

« ان الاعتماد على النسخ المتواترة وتجويز العدول فى غير تلك النسخ الى الفاظ أخرى عربية أو غير عربية كل ذلك ينافى حفظ القرآن بطريق التواتر ويكون العدول الى أى لفظ غير متواتر عربى أو غير عربى مبدأ العدول عن طريق التواتر فادامة سلسلة التواتر لاتكون إلا بادامة تحديد الالفاظ ومنع احداث أى لفظ غير متواتر »فيمنع احداث أى لفظ غيرمتواتر حفظا لمناعة مكانة القرآن وقوة روايته من سلف الى خلف وتخليداً لامتيازه بتلك المناعة والقوة من بين سائر الكتب فالقرآن مكشوف أمره ومبسوط حقائقه وأحكامه بما لم يبسط مثله لسائر الكتب المنزلة فى كتب التفسير والفقه وأصول الفقه والكلام والبلاغة للمراجعين والمترجمين والناقدين [1] وقد أخذ كل فريق منهم قسطه منه قبل

(١) فلو طابت نيات ملاحدة الترك فى القرآن لما أبطلوا تلك الكتب ومنعوا دراستها ونبذوها الى حفر النسيان مغرما لطلاب العلم ومغنما لدهاة التجارة

هذا اليوم وليأخذ بعده من شاء بقدر ما شاء وليفهّم الفاهمون غير الفاهمين وليعلّم العالمون الجاهلين ولا يمكن فهم تلك الحقائق من الترجمة ولا تكفى لإفهامها الناس قُدَر المترجمين فأى ناقد أو مستفهم لا يأمن مباحث تلك الكتب ولم يأمن العلماء المفهمين ويريد أن يستخرجها من منجمه ويتجرعها من منبعه فاليه القرآن العربى بنصه المصون لانحلْ بينه وبينه ترجمته الحرفية أو المعنوية أيضاً كما لا يريد حيلولة تلك الكتب ولا حيلولة الترجمة التفسيرية . والعجب أن الاستاذ يُرضيه التفسير الموجز القاصر الذى يسميه الترجمة الحرفية ولا ترضيه الترجمة التفسيرية الموضحة فان كان المقصود فهم معانى القرآن فالترجمة التفسيرية أكفل له وان كان طالب الفهم لا يأمن الترجمة التفسيرية ومطابقتها لاصل القرآن فكيف يأمن الترجمة الموجزة القاصرة وكيف يثق بها ان لم يثق بالترجمة الموضحة فلا وجه لقول الاستاذ « يقولون نترجم لهم الكتاب ترجمة تفسيرية أى على نحو ما نقلناه عن مجلة (نور الاسلام) حيث تجد الكلام الالهى ممزوجا بكلام بشرى على وجه متكلف فيه كل التكلف فهل تأمن هذه الامم شر المشككين المنبثين فى كل مكان اذا قالوا لهم أتدرون لماذا يكتمونكم نص كتابكم المقدس ويأتونكم بهذه التراجم التى يسمونها تفسيرية ؟ ذلك لان كتابكم من اعتلال التركيب واختلال المعنى بحيث لا يصلح أن يتمثل قائما بذاته على مثال كتب الملل التى ترونها فهم يأتونكم به على هذه الصورة سترا لعيوبه وتغطية على علاته . فهل اذا رماهم المشككون بهذه الشبهة يهدأ لهم روع دون أن يقفوا على نصه »

ونحن نقول لا يوجد مشكك أبلغ منك يا أستاذ ولكن نص الكتاب الذى ذكرته نيابة عن المشككين أعداء الاسلام فى قولك : « أتدرون لماذا يكتمونكم نص كتابكم المقدس » عبارة عن الترجمة الموجزة ماهى بنص كتابنا المقدس وهذا التعبير منك مغالطة فى محل النزاع ومثله قولك عن الترجمة التفسيرية « تجد الكلام الالهى فيه ممزوجا بكلام البشر » اذ الترجمة كلها وكلا نوعيها

كلام البشر ومن يكتم نص كتابنا المقدس أى القرآن العربى الذى هو متمثل وقائم بنفسه على أعين الانام ؟ وانما يريد أن يكتمه من يريد ترجمته على أن تقوم مقام الاصل . وقولك نيابة عن المشككين : « ان كتابكم لايصلح أن يتمثل قائما بذاته على مثال كتب الملل التى ترونه » باطل ومعاكس للحقيقة بل كتب الملل التى نراها فى أيديهم غير قائمة بذاتها وغير ثابت نقلها عمن نزلت اليهم صلوات الله وسلامه عليهم على وجه مقطوع به لاباصولها ولا بتراجمها كما ثبت نقل القرآن عن رسول الله ﷺ فأى مشكك غيرك يجتسر على مقايسة كتبهم بكتابنا فى التمثل والقيام بذاته ويبحث عن اعتلال التركيب واختلال المعنى لكتابنا الذى أعجز مصاقع بلغاء العرب على مدى أربعة عشر قرنا عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه وصار ولا زال أمره أشهر من نار على علم حتى أنك لما استيأست من بلغاء العرب أخذت تنشد المعارضين من غيرهم بلسان قومهم

الحاصل ان فهم معانى القرآن لغير العرب مفتوح الباب على مصراعيه، لهم فى الحصول عليه وسائط عديدة مختلفة مستحضرة من قديم الزمان الى جديده استحضرها علماء الاسلام المجتهدون فى معرفة أسرار كتاب الله واشترك فيه علماء العرب والعجم وأباحوا نقلها من لغة الى أى لغة ولا شك أن الجاهل العامى يحتاج فى الوقوف على معانى القرآن الى واسطة ويرجح أن تكون واسطة الفهم مفصلة وموضحة ان كان مقصوده الحقيقى الفهم لكونها أسهل على الفاهم والمفهم وليس للجاهل المستفهم الراضى عن جهله حق الشبهة فى أمانة العلماء المفهمين ولا مدخل فيه لنهوض الامم واستيقاظهم الذى أكثر الاستاذ من ذكره فى مقالاته واتخذه متكأ وطيداً فى مسألة ترجمة القرآن فان مرجع الرقى العصرى الى المادة وأمور الدنيا وهل الاستاذ مقتنع بان العامة فى الامم الغربية استيقظوا وتقدموا فى أمر الوقوف على الحقائق الدينية وتحرروا عن الاحتكارات حتى يلزم عامتنا أن يقلدوهم فى نهوضهم

ثم ان نهوض الشعوب و استيقاظهم العلمى يحتم عليهم الاعتراف بقاعدة الاخصاء فى شعبة العلوم و يعلمهم الخضوع فى كل شعبة لاهلها و وقوف غيره عند حده فان كان لا يقنع الجاهل الا أن يفهم معانى القرآن دون أن يتوسط بينها و بينه عالم أو مفسر أو مترجم ترجمة تفسيرية لعدم ثقته بالعلماء المفسرين أو المترجين ترجمة تفسيرية فعليه أن يتعلم العربية و يتوغل فى علم البلاغة و التفسير فيصير عالماً و يحق له أن لا يثق بعالم يراه مثله أودونه فيحضر بنفسه بين يدى القرآن جانّبَ ما بينه و بينه من المراحل لا أن يدعو القرآن الى موضع قدميه و يتعلل تجاه عدم اجابته باجابة مثال مزيف وعليه أن يرقى بنفسه الى مستوى عتبة القرآن لا أن ينزله الى مستواه بالتزام ترجمة موجزة يعتبرها موصلته الى نص القرآن بلا واسطة و ما هى الا واسطة أيضاً و موقفه عندها موقف غالط يعتبر الواسطة أصلا أو مقصر يرضى بالواسطة القاصرة و يدّعى الاستفهام التام

وأما مسألة ترجمة الانجيل التى يحاول الاستاذ أن يجعلها أسوة بل قدوة لنا فى ترجمة القرآن و يبحث عما كسبت دين المسيحية من فوائد الانتشار فنقول فى جواب ذلك ان الاناجيل لا تنتهى الى أصل ثابت مثل القرآن فقد قال الاستاذ ان أصلها لاتينى اللغة وخطأه القس ابراهيم سعيد فى المقطم قائلا : « ان لغة أصل الانجيل اغريقية (يونانية) و ما اللاتينية الا احدى اللغات التى ترجم اليها الانجيل بعد تنزيله بقرون وعن الاغريقية — لا اللاتينية — نقل المترجمون وان كان بعضهم قد استأنس بالترجمة اللاتينية المعروفة « بالفولجيت » التى وضعها ايرونيموس فى أواخر القرن الرابع للميلاد » وعلى كلا التقديرين فكلا الاصلين أعنى اللاتينية أو الاغريقية لم يكن الانجيل الذى نزل على سيدنا المسيح عليه السلام بل اما مترجم عنه أو موضوع رأساً كما قال القس ابراهيم سعيد عن الاصل اللاتينى « وضعه ايرونيموس » فالذى يعتبرونه أصلا ليس بأصل حقيقى سواء فى ذلك اللاتينى والاغريقى لان كلا من اللاتينية والاغريقية لم تكن لغة

المسيح عليه السلام و مع هذا فكثير من الامم المسيحية لم يجوزوا ترجمة الانجيل الى اللغات و أرادوا أن يحتفظوا بما يعدونه أصلا وان لم يكن أصلا حقيقياً فأثارت ترجمة الانجيل ضجة فى عالم المسيحية مع عدم كونها ترجمة الاصل المنزل بل ترجمة الترجمة فليعتبر منه الاستاذ ولو لم يكن الانجيل مصابا من قديم وجديد بالتراجم لاحتمل عدم ضياع الانجيل المنزل فماذا هو دافع الاستاذ و مصلحته فى أن يجعل كتاب الاسلام مصابا بما أصيب به الانجيل حتى يجتهد بأشد ما يكون المجتهد عليه من الحرارة فى استجلاب خطر التراجم على القرآن

أما مسألة التبشير ونشر المسيحية بالترجمة فالاستاذ يعلم جيداً أن المبشرين النصارى لا يجتنون ما جنوا من ثمرات التبشير ببركة تراجم الانجيل ، بل بما استندوا اليه من القوة والثروة والتضحية . وتلك القوة هى التى جذبت نظر الاستاذ الى الانجيل وتراجمها ، ونحن نرجو مثل تلك القوة و الثروة و التضحية ونتمنى بكل قوتنا للشعوب الاسلامية وندعوهم الى التوسل بجميع أسباب التقدم والتقوّى فى الصناعات و التجارات والعلوم الكونية ومنافسة أمم الغرب فى هذه الامور ولا نقول لهم كالاستاذ فريد صعب علينا و مستعص أن نعمر دنيانا مع العامرين فهلموا نهدم ديننا و نخرب بيوتنا بأيدينا و بعبارة أخرى لا يمكننا أن نساجل الغربيين فيما هم أقوياء فيه وهو الدنيا فلنضاهيهم فى ناحيتهم الضعيفة وهو الدين . ان التشبه بالقوىّ فلاح، ان لا يكن فى قوته فليكن فى ضعفه وقد وجدنا ضعفا ووهنا فى أساسهم الدينى فنعده قوة لكونه عند القوى ونقلده فيه و هو أمر سهل لكونه هدما وتوهينا فى الحقيقة

فهذه يا أستاذ ترجمة منطقك فى ترجمة القرآن قياسا بترجمة الانجيل ان لم أف حقه فاعذرنى على نقصى و زيادتى و هكذا يفعل المترجمون فأى سخف فوق سخف منطق من يريد أن يحوّل نهوض الشعوب الاسلامية وهم فى احتياج النهوض لاكتساب الوسائل المادية ، الى التطاول على القرآن . وما مناسبة نهضة المسلمين

وتيقظهم من رقادهم وانتفاضهم من خمولهم الذي أ كثرَ الاستاذ من ذكره في مقالاته بترجمة القرآن التي فيها اضاعةُ وعلى الاقل اضاعة قوته وتفريق كلمة المسلمين ؟ وان كانت جرأة الاستاذ في التلاعب بأفكار القراء جوزت له قلب الحقائق فصور وحدة القرآن تصدعا في وحدة الاسلام وتفرقا في شعوبه حيث قال في آخر مقال من مقالاته في المقطم : « ان الذين يعارضوننا في هذا الموقف يسيئون الى الاسلام ويعرضون وحدته للتصدع وشعوبه للتفرق » وما مناسبة ثورة الشعوب المسلمة في ميدان الحياة بثورتهم على القرآن العربي المنزل المحفوظ ، فان كانت من قبيل ثورة المجانين وانتفاضهم من سلاسلهم فلا كلام عليه والا فلماذا لا ينهجون طرق الحياة الرابحة كما ينهج العاقل وهي مكشوفة أمامهم ولكن يلزمهم أن يكونوا رجالا لا يلوى بهم الصعب الى السهل ولا يحدرهم العلو الى السفل فيرجعوا الى التضحية بدينهم حينما يضحي الرجال بالاموال والانفس والشهوات

يقول الاستاذ بالتلخيص ان الشعوب المسلمة قد نهض بعضهم والآخرون على وشك الاقتفاء بآثارهم فليترجم القرآن كل شعب بلغته وليقرأ الترجمة في صلاته كما فعلته أو تفعله تركيا والا فلا يمسك القرآن العربي الشعوب الناهضة في حوزة الاسلام فكأن الشعب التركي اقترح على رجال حكومته أن يقوموا له بترجمة القرآن والحكومة خافت على الشعب أن لا يحتفظ باسلامه أو لا يستمسك بقرآنه فاجابته الى طلبه؛ كل ذلك لم يكن . ولا يخاف الاسلام ولا القرآن نهوض الشعوب وانما تخافه الحكومات الظالمة التي ترهق الشعوب باهوائها والتي أحدثت مسألة ترجمة القرآن في تركيا هي الحكومة التي لا يقرأ رجالها القرآن ولا ترجمته ولا يصلون ولا يعترفون بفريضة الصلاة لكونهم لادينيين (لائيك) والشعب المسكين يريد أن يستمسك بقرآنه العربي ويقرؤه في صلاته وفي غير صلاته فيسوقونه الى الترجمة فيأباها الشعب في تركيا ويرضاها الاستاذ فريد في مصر

القرآن عربي والاسلام دين عام

قد تبين مما سبق ان للقرآن خواص وأوصافا عالية تأبى الترجمة وتوجب بقاءه عربياً وكلامنا فى الترجمة التى يراد بها تمثيل أصل القرآن وإقامتها مقامه لا فى ترجمة تقوم مقام تفسيره ويراد بها فهم معانيه وكون القرآن لايقبل الانفكاك عن لغته التى نزل عليها لاينافى كون الاسلام ديناً عاما للبشر لان فى بقائه عربياً كما بقى الى الآن بقاء قوته التى لايدانيه فيها كتاب من كتب الملل وهى قوته الحاصلة بكونه معجزة بنظمه ونصه وثبوته تواتراً بهذا النظم وهذا النص فلهذا النظم العربى خصوصية بالقرآن وقيمة عظيمة واجبة الصيانة . وبعد هذا فالقرآن رابطة بين الأمم المسلمة والرابطة تطلب فيها الوحدة ، حتى ان الشعوب الاسلامية اذا لم يتعارفوا بينهم بشىء يتعارفون بالقرآن فهو جامع شتاتهم وداعيهم بلفظه ومعناه الى الاتحاد لكن الاستاذ الفريد القائل :

« ان الاسلام بنص كتابه وبتصريحات رسوله ودعايته دين عالمى عام وان دينا يصرح بانه جاء لاحداث اصلاح خطير فى الاديان كافة لايكون شىء أفسد لكيانه وأعدى على جوهره من التشدد فى قصره على لغة واحدة وحبسه فى دائرة جنسية خاصة فماذا ترجى الامم من دين يعلن أهله ان كتابه لايجوز نقله الى لغاتهم ولا تصح كتابته بخطوطهم ولا قراءته بلسانهم فاذا كانت هذه الصبغة الحادة قد تسومح فيها فى عهد كان للعرب والعربية السلطان المطلق فى عالمى العلم والسياسة فيجب علينا اليوم تخفيفها الى حد أدنى ممكن ، لتسمح الامم العزيزة الجانب التى تقتادنا وراءها بقوة لاتغالب ، أن تعتبر الاسلام دينا عالمياً عاما والا كان لها واسع العذر فى حسبانه عربيا خاصاً كما هو رأى جمهور منهم وليس هذا من مصلحتنا ولا هو موافق للواقع »

يسعى على ماهو عادته فى لبس الحق بالباطل والتغطية على عيون القراء بزخرف القول فهو يغالط أولا بين الاسلام والقرآن فيقول ان ديناً يصرح بأنه عام عالمى وانه جاء لاصلاح الاديان كافة كيف يقصر على لغة واحدة ويحبس فى جنسية خاصة والحال ان الاسلام لم يقصر على لغة ولم يحبس فى جنسية خاصة فالمسلمون يتكلم كل أمة منهم بلغته ويحتفظ بجنسيته ولم يدّع أحد ان الاسلام عربى حتى يكون منافياً لتصريحه بأنه دين عام والكلام فى عربية القرآن لا فى عربية الاسلام فاللازم كون القرآن عربياً أ ّية كانت جنسية المسلم ولغته . فان ادّعى التنافى بين بقاء القرآن عربياً و بقاء المسلم على لغته و جنسيته ، و بعبارة أخرى بين خصوص لغة القرآن وعموم دين الاسلام فسيأتى جواب ذلك

و ثانياً يخلط الامم المسلمة بالامم الغربية و يلبّس احداهما بالاخرى حين يبحث عما كان للعرب والعربية ثم زال، من السلطان المطلق فى عالمى العلم والسياسة فالمطلوب أن تجتمع الامم فى جامعة القرآن العربى وأن لا تكون عربية القرآن مانعة عن اجتماعهم فى تلك الجامعة لا الحصول على اعتراف أمم الغرب بأن الاسلام دين عام بشرط الموافقة منا على تغيير لغة القرآن وان كان فيه خطر على امتياز كتاب الاسلام بين الكتب بقوته ووحدته فالاسلام جاء نعم لاصلاح خطير فى الاديان كافة والامم كافة وفيما استنبطه أئمة الاسلام ودونوه من الاحكام الشرعية التى مرجعها الى الكتاب والسنة ما يكفى لصلاح الامم ان نظروا فيها بعين البصيرة والانصاف وان لم يكتفوا بالمستنبَط المأخوذ وطلبوا المأخذ فاليهم الكتاب بنصه العربى المصون أما اذا لم يُرضهم هذا وذاك وطلبوا منا تغيير لغة القرآن وعلّقوا صلاحهم أو اعترافهم بعموم دين الاسلام عليه أو علق وكيلهم فى مصر فذاك اضرار بالقرآن لارضاء أعدائه عن الاسلام أو افساد القرآن قبل اصلاحهم ولا يرضى به مسلم عاقل

فالاسلام دين عام مع كون القرآن عربياً اعترف به الغربيون أو لم يعترفوا

لأن عموم الاسلام مع خصوص لغة القرآن كلاهما أمر ثابت من غير ما حاجة الى اعترافهم يشهد به مُضى ثلاثة عشر قرنا على الاسلام والمسلمين من مختلف الاقوام حال كونهم لم يترجموا القرآن ولم يستمسكوا بتراجمه بدلا من أصله فاجماع الامم المختلفة المسلمة الواقعُ المستمر على طول تلك القرون فى جامعة القرآن دليل قاطع بأن خصوص لغة القرآن لاينافى عموم دين الاسلام حتى ان بقاء القرآن على لغته بعد انتقال الحكم من العرب الى الترك وبقائه فيهم وهم أهل دولة وقوة كبيرة فى العالم أدل دليل على عدم التنافى بين عموم الدين وخصوص لغة القرآن فلو اقتضى تدين غير العرب بدين الاسلام ترجمة القرآن لكان أنسب عهد لها عهد الدولة العثمانية حين قامت دولة عظيمة غير عربية وكانت بلاد العرب خاضعة لها مع خضوع كثير من غيرها فاليوم الذى يرى الاستاذ ضرورة الترجمة فيه ماهو بيوم زوال الحكم والسلطان من العرب بل يوم اخذا يعودان اليه نعم ان هذه الايام وهذه السنوات النحسات أيام زوال حكم الاسلام وسلطانه على المسلمين ونغمات ترجمة القرآن أصوات شماتة الاعداء بدين الاسلام وأصوات الاغراء به لالغاء لسانه الرسمىّ الذى يمثله القرآن العربى والذى لم تنقض سلطتَه الدولةُ العثمانية العظيمة المستولية على سلطة العرب الى أن جاءت دولة أنقرة الصغيرةُ اللادينية فأرادت نقضها لكن لما أُذعن لسان القرآن لساناً رسميا دينياً عند المسلمين فى ثلاثة عشر قرنا وثبت هذا الاذعان بخضوع دولة عظيمة تركية له مدى ستة قرون ثبوتاً باهراً فلا غرو فى انطواء الامم المختلفة المسلمة تحت سلطة هذا اللسان الرسمى الدينى كانطواء الاقوام المختلفة تحت حكومة يكون لسانه الرسمى لغة قوم منهم ويتبعه الباقون فى المعاملات الرسمية فمن يراجع الحكومة منهم بطلب يتحتم عليه أن يراجعها باللغة الرسمية وان لم يعلمها ويفهمها ؛ ألا يلزم أن يكون هذا أغرب فى نظر دعاة الترجمة مثل فضيلة الاستاذ المراغى والاستاذ فريد وجدى من قراءة الشعوب غير العرب فى صلاتهم القرآن العربى غيرَ فاهميه مع ان المصلى يقرؤه بنية

أنه كلام الله الذى أمر بقراءته فيها لا كلام المصلى نفسه فلا يكون أغرب من تقديم طلب الى حكومة بلغة لا يفهمها صاحب الطلب . ومثل هذه الاحوال تقع وجوباً فى كل بلدة أمام كل حكومة و يراها أصحاب الرأى أمراً طبيعياً و يراها دعاة الترجمة كذلك ولا يطوف بخيالهم أن ينتقدوه على الحكومات ويقولوا كيف تكون الحكومة عامة واللغة الرسمية الحكومية خاصة فهل لا يوهم ذلك بخصوص الحكومة بأصحاب اللغة الرسمية ويحق لغيرهم أن لا ينقادوا لها ولو انتقدوه وأنذروا به الحكومات فلا تصغى اليهم ولا تعبأ بانذارها بامثال هذه المغالطة والسفسطة و يقال لهم غرّوا بها حكومة الاطفال و السذّج

ترجمة القرآن فى نظر الفقهاء

لم أتكلم مع الاستاذ فريد فى مسألة ترجمة القرآن من ناحية الفقه لانى استوفيت الكلام من ناحيته فى النظرتين المتقدمتين ولان الاستاذ ليس أهلا لأن يتكلم معه فى تمحيص أقوال الفقهاء الذين يتكلمون كل كلمة بميزان والاستاذ انما توزن كلماته فى ميزان الآخرة ولا ميزان لكلامه فى الدنيا انظر مثلا الى قوله فى المقطم:

« لقد نقل الاستاذ الشيخ أحمد شاكر عن الكمال بن الهمام أقوالا رأى أنها تمنع ما رآه امامه من الرخصة فى الصلاة وقد نقلنا عن أكبر مصادر المذهب جواز ذلك بدون قيد ولا شرط منها ما قاله صاحب (الدر المنتقى) وهو على هامش (ملتقى الانهر) الذى يدرس بالازهر ونصه : « وكذا لو قرأ بها عاجزاً عن العربية بأن كان لا يحسن العربية بشرط أن لا يخل بالمعنى (أى صحت صلاته) وهذا قولهما (أى قول الامام) و به قالت الثلاثة (أى الامام وصاحباه) واليه صح رجوع الامام وعليه الفتوى قاله العينى » . فهل بعد هذا أدلة على جواز الصلاة بغير العربية لمن يعجز عنها ؟ »

كتب الاستاذ هذا النقل لاثبات جواز الصلاة بغير العربية بدون قيد ولا شرط وهو لا يجيزها الا للعاجز عن العربية فهل يقال عنه انه أجازة مطلقة بدون قيد ولا شرط وانما فيه رجوع الامام عن الاطلاق الى التقييد الذى قال بهصاحباه ثم ما الفائدة فى اثبات جواز الصلاة بغير العربية لمن يعجز عنها فى فتنة الترجمة المحدثة فى تركيا حال كون الاتراك غير عاجزين عن قراءة القرآن العربى الذى يُقرأ فى تركيا منذ الف سنة لكن الاستاذ يريد أن يتجاهل فى تفسير العجز عن العربية ويتلقاه كأنه بمعنى العجز عن اللغة العربية وقد بيّنا بطلان هذا التلقى فى النظرة الاولى وسنزيد فى البيان وانظر الى قوله بعد قوله السابق :

« يتشددون جد التشدد فى أن القرآن لا تصح ترجمته وجعله فى مصحف يقرؤه الاجنبي عن العربية ويهتدى بهديه فى أمور دينه ودنياه وفاتهم أن الكمال بن الهمام نفسه الذى بالغ فى التشدد قد أجازه فقال فيما نقله الاستاذ (أحمد شاكر) نفسه عنه ما نصه :« ان اعتاد القراءة الفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع وان فعل فى آية أو آيتين لا فان كتب القرآن وتفسير كل حرف وترجمته جاز » فصرف الاستاذ قوله وان اعتاد القراءة الفارسية الى القراءة فى الصلاة ليسوغ له أن يقول ان أبا حنيفة يحرّم تعوّد القراءة فى الصلاة بغير العربية وليس هذا مراد المؤلف ولو كان كذلك لنص جميع المؤلفين عليه لانه مما يجب التنويه به فى هذا الموطن ولكن معنى كلام الكمال بن الهمام أن من اعتاد قراءة القرآن فى غير الصلاة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع من ذلك وان كتب آية أو آيتين فلا يمنع فان كتب القرآن كله بالعربية وجعل معه ترجمة بالفارسية أو غيرها جاز له ذلك . فالكمال بن الهمام لا يرى بأسا من كتابة القرآن مترجما على شريطة أن يقرن بنصه العربى وهذه رخصة لا يجوز التغابى عنها »

منع اعتياد القراءة بالفارسية مطلق فى كلام الفقهاء ليس من حق أحد أن

يخصصه بغير الصلاة ولا بالصلاة وتخصيص الاستاذ فريد تحكم ظاهر في كلام الكمال ابن الهمام وأى نص يطلب الاستاذ فى منع اعتياد القراءة بالفارسية فى الصلاة بعد اطلاق المنع عن اعتيـاد القراءة الفارسية ، نعم المنع مطلق عند الاعتياد والجواز مقيد بمـا اذا قرأ فى الصلاة كلة بالفارسية أو أكثر منها . قال الامام المحبوبى : « والخلاف — أى بين الامام وصاحبيه تجويزاً ومنعـاً — فيمن لايتهم بشىء وقد قرأ فى الصلاة كلة بالفارسية أو أكثر منها أما لو اعتاد قراءة القرآن أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع ، حتى قال محمد بن الفضل : من تعمد ذلك يكون زنديقاً أو مجنوناً والمجنون يداوى والزنديق يقتل » كذا فى النفحة القدسية للشرنبلالى فما فوق قراءة كلة أو أكثر من كلة بالفارسية فى الصلاة يكون اعتيادا ومتعمده زنديقاً ، وهذا مذهب الامام الواسع الذى رجع عنه فما ظنك بمذهب غيره . وسبب المنع أشدَّ المنع عن الاعتياد مافيه من الاخلال بحفظ القرآن بلفظه ومعناه وقد سبق تحقيق هذا البحث فى النظرة الخاصة بمقال فضيلة الاستاذ المراغى ثم ماذا يجدى نفعاً للاستاذ فريد كون الكمال بن الهمام لايرى بأساً من كتابة القرآن مترجما على شريطة أن يقرن بنصه العربى وهل يتفكر الاستاذ فى أنه لماذا تُشترط كتابة القرآن مترجما بمقـارنته بالنص العربى ؟ وهل تراعى هذه الشريطـة فى المصحف الأنقرى ؟ وما الذى يقوم مقام تلك الشريطة فى الـكتابة ويحفظ به موقع النص العربى فى قراءة الصلاة لولم يكن اعتياد القراءة بالترجمة ممنوعا فيهـا كما زعمه الاستاذ ؟

والاستاذ عند ما كتب عن الفقهاء فى مسـألة ترجمة القرآن وأراد به تأييد الفتنة المحدثة فى تركيا فهو يعلم قطعا أن أقوالهم لاتنطبق على تلك الحادثة اللادينية إلا أنه يكتب ويغالط بما كتبه القراء الغافلين فاذا صورنا الحادثة الأنقرية بصدد الاستغناء عن العلماء واتقينا مغالطتهم لزمنا أن نسأل عن القادر على قراءة القرآن المارن عليها لو تكلف فقرأ فى صلاته بالتركية عمدا وابتعادا عن القرآن العربى فلا

جرم أن الامام وصاحبيه لا يجوزون له هذه القراءة ويحكمون بفساد صلاته بل بفساد دينه وقد صرح فقهاء الحنفية بحكم المتعمد فى هذه المسألة وقالوا ان المجنون يداوى والزنديق يقتل لكن الاستاذ فريد لا يزال يبنى الحادثة على اجماع الامام وصاحبيه ولا تتحرك شعرة فى بشرته عند ما قال : « أما رواية رجوع الامام عن رأيه التى طنطن بها الاستاذ التفتازانى فحقيقتها أن الامام أبا حنيفة كان يقول بجواز الصلاة وقراءة القرآن بالفارسية وسائر اللغات لمن يحسن العربية ومن لا يحسنها وكان يخالفه صاحباه فيقولان لا يجوز ذلك الا لمن لا يحسن العربية دون من يحسنها فروى أن الامام رجع الى قولهما فيمن يحسن العربية أما فيمن لا يحسن العربية فالامام وصاحباه مجمعون على جواز ذلك له » فماذا يجدى الاستاذ نفعاً بعد رجوع الامام الى قول صاحبيه اجماعهم على جواز القراءة بغير العربية لمن لا يحسن العربية أى للعاجز عنها وما فائدة البحث عن هذا الاجماع ؟ ان هذا الا تلبيس موضوع المسألة على القارئين ليخيل لهم أن اختلاف الاستاذ فريد مع الاستاذ التفتازانى تجويزاً ومنعاً فى العاجز عن قراءة القرآن العربى أو يغفلوا عن حال تركيا فيطبقوا على أهلها حكم العاجز والحال أن الاتراك غير عاجزين عن قراءة القرآن العربى ولم يعجزوا عنها فى عصر من أعصارهم الماضية بعد الاسلام وفيهم اليوم عدد كثير من حملة القرآن لا يحصون بالآلاف ولا بعشرات الآلاف و بعض أمصار تركيا مشهور بكثرة حفاظه حتى ان من اللطائف المعروفة عن الاتراك أن واحداً من الناس أخذ يقدح فى أهالى قونية فى مجلس فقال « ان كلهم ... ولم يتم الجملة حتى انفتح الباب ودخل رجل قونوى فقال : يحفظون القرآن » ولا أكون مبالغاً ان قلت ان فى حفاظ الترك رجالا لا يعدلهم حفاظ سائر البلاد فى قوة الحفظ يصلون بالناس فيقرءون جزءاً أو جزأين فى ركعتى العشاء ويختمون القرآن فى رجب وشعبان مرتين ويصلون التراويح ويختمون القرآن ختمة فى نصف رمضان وختمة أخرى فى الليلة السابعة والعشرين وختمة ثالثة بعدها فى ثلاث ليال ومن

أمضى شهر رمضان بالاستانة فى زمن السلطان عبد الحميد واستقرى المساجد والحفاظ يعلم ذلك وكل الناس فى تركيا الا خريجى المدارس الحديثة اللادينية يحفظون على الاقل ما يقيمون به صلاتهم وانما الاتراك عاجزون عن قراءة الترجمة المبتدعة محتاجون فى حفظها وقراءتها الى كسب جديد لكن الاستاذ يعاكس الحقائق ويلبّس الامور وكم له فى مقالاته من تلبيس ومغالطة وهى أقبح من الغلطة لدلالته على عدم نصح الرجل للاسلام والمسلمين ومنها يعلم أن ما مضى له من طول خدمته الاسلام ودفاعه عنه لم يصدر من ضمير صادق وانما باع واشترى على سوق الزمان حين كان يرى فى الاسلام قوة وفى المسلمين استمساكا به ومحبة فيه وغضباً له ، فلما انقلب الزمان انقلب معه عليه والا فلن يحامى عن حركات ملاحدة الترك ولن يمدح مساعيهم ضد الاسلام ولن يرام مستحقين للتشجيع مَن لم فى قلبه نور الاسلام ولو مرة واحدة وليته لم تسبق له تلك الخدم التى يستمد اليوم سمعتها وشهادتها الكاذبة فى اضلال الناس فيقال حتى الاستاذ فريد وجدى يحبذهم ويطريهم والله ربنا يقول (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وكان الاستاذ فريد ـ على ما يروى ـ أول من حمل على قاسم أمين لما نشر كتابه (تحرير المرأة) ولا أحسب أن ما فى ذلك الكتاب يبلغ معشار ما فى تركيا الحديثة ، فلماذا كان ذلك التشنيع ولماذا يكون هذا التشجيع ؟ ولكن قاتل الله انقلاب الزمان والمنقلبين معه

وهنا نورد أمثلة من تلبيساته فى مقالاته التى نشرها فى هذه الايام ترويجاً لمسأله ترجمة القرآن المحدثة فى تركيا :

(١) «أما ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية فليس الترك بأول من أقدموا على ذلك ولكن سبقهم اليه الفرس والهنود والصينيون والجاويون فنقلوا القرآن الى لغاتهم».

ثم زاد فى كتمان الحق ولبسه بالباطل فقال عقب قوله السابق « ولا يعقل

أن واحداً من جميع هذه الامم اعتبر الترجمة أصلا أو أنكر أن القرآن المنزل عربى مبين ولكن ضرورة تفهمه وتدبر آياته قضت عليهم بترجمته » فكأن ملاحدة الترك أيضا لا يعتبرون الترجمة التركية أصلا ولا ينزعون الاصل العربى من الايدى والالسن فيترجمون القرآن كما ترجم الاقوام فهل أحدثت تراجمهم ضجة فى الغابر والحاضر كما أحدثت اليوم ترجمة الترك ونحن نطالب الاستاذ بهذا السؤال ثم نجيب عنه بأن ترك أنقرة متهم فى دينه [١] وأن مشروعهم هذا لا يشبه صنع المسلمين من سائر الاقوام أليس عندهم ما عند الاقوام من تفسير القرآن بلغتهم المقصود به فهم معانى القرآن وتدبر آياته حتى احتاجوا الى ترجمة جديدة

(٢) « ونقلُ القرآن الى التركية ونشره بين الناس على هذا الوجه وتيسيره للفهم يعتبر ربطاً لهم بأواصر الاسلام وتوثيقا لعرى صلتهم به ولو كان قادتهم ينوون ما يتهمهم به الاستاذ (التفتازانى) لتركوا القرآن بين أيدى قومهم عربياً لا يقرؤنه وان قرأوه فلا يفهمونه ولشددوا فى وجوب المحافظة عليه عربيا حتى يصبح على توالى الايام غريبا بينهم »

وهذا الكلام غاية فى الغش والتلبيس والله يقى الاسلام شر كل منافق عليم اللسان . فليتأمل المسلم كيف يسعى قادة الترك لتوثيق عرى صلتهم بالاسلام وارتباطهم بأواصر المسلمين وهم الذين نادوا لحكومتهم باللادينية المقطوعة العلاقة بالاسلام بل الشرق كله وآسيا برمتها وكم تبجحوا بذلك فى الاندية العالمية ، ولو تركوا القرآن بين أيدى قومهم عربيا لكفاهم الامتنان باظلالهم

وقد سبق منى فى أول الكتاب : « وبعد فقد يظن أناس مما أحدث فى تركيا من مسألة ترجمة القرآن وإقامة المترجم مقام الاصل فى الصلاة وغيرها أن المقصود منها تجنيس القرآن بالجنسية التركية وهو غير ذلك » وأعنى به أن مرماهم فى الترجمة ليس تقريب القرآن الى الترك بل ابعاد الترك من القرآن

---

(١) والمتهم ممنوع من قراءة الترجمة حتى عند الذين يجوزون قراءتها وقد صرح به الفقهاء

(٣) « ان شعوب الشرق الاسلامية مصابة بعلل خطيرة وقد اضطرها احتكاكها بالاجانب الى الانتقال قسراً انتقالات مشوشة مضطربة ولكنها لم ترض على انتقالاتها هذه فهي ساخطة عليها متشائمة منها ، ولذلك حُرمت من تهذيبها وعنايتها بها فاتاثت بأشنع العيوب وأفظع النقائص فانشطر الناس فيها فرقتين فرقة ركبت رؤوسها واندفعت في تهور سمته تجديداً وما هو إلا تدهور مخيف مقطوع العلاقة بالحوافظ الادبية وفرقة تتمسك بالقديم تمسكا كلامياً ولا تفتأ تتمنى رجوعه ولكن جهادها محصور في أضيق الدوائر وأقلها فائدة وأبعدها احتمالا »

من أي فرقة يعد الاستاذ مجددي الترك؟ أليسوا هم من الفرقة الاولى « الراكبة رؤوسها المندفعة في تهور سمته تجديداً وما هو الا تدهور مخيف مقطوع العلاقة بالحوافظ الادبية » فان لم يكونوا من تلك الفرقة فمن يصدق عليهم تعريف هذا التجديد المخوف ؟ ولعله لا يلوم على انتقالات تركيا القسرية لكونها انتقالات قسرية منتظمة لا يشوبها اختيار الشعب تحت القاسرين غير الاجانب

(٤) « فنحن الذين شهدنا هذه الآية الاجتماعية (يعني انقلاب الترك) يحرم علينا أن نصغر من شأنها أو أن نمر بها غير مكترثين فاننا سنمر في كل الادوار التي مر بها الاتراك متى جاء دورنا في نهوض حقيقي صحيح فان لم نتعلم مما دخل فيه الاتراك درساً فلا أقل من أن نُعجَب به مع المعجبين » أي المعجبين الغربيين الاجانب عن الاسلام وأكثرهم اعجاباً بهم أعداهم للاسلام

(٥) « الخلاصة أن الشعب التركي الذي أشبه الشعوب الحية في دخوله أدوار الانقلابات الاجتماعية يستحق منا كل الاعجاب وكل التشجيع ان لم يكن باعتبار أنه أقرب الاقربين الينا فباعتبار أنه دفع شبهة القائلين بأن العالم الإسلامي متحجر لا يصلح أن يجاري سواه في حلبة الحياة الاجتماعية »

كلا ! يا أستاذ انهم لم يدفعوا شبهة أعداء الاسلام هذه بل أكبروها وصاروا حجة في أيديهم على أن المسلمين لن يجاروا الشعوب الحية ولن يشبهوها ما لم يمرقوا

من قيود الاسلام وأحكامه ويكونوا لا دينيين ولا شرقيين مثل الترك الحديث وان شئت نخذ من كلمات الاستاذ وزد : « ومالم يقلدوا أوربا فى كل شيء حتى الحادها وملاهيها ومراقصها كما قلدت اليابان و الترك الحديث »

(٦) « أما توسل رجال الثورة فى مبدأ أمرهم لاشعال نار الحماسة فى صدور الاتراك بالدعوة لانقاذ سلطانهم فلا يحتاج فهمه لكبير ألمعية » يعنى فهم كونه خدعة سياسية وان كان المخدوعون بها المسلمين . ثم قال « ولكن ما عتم السلطان أن اعتبر الثائرين خارجين عليه وأرسل اليهم جيشاً لمقاتلتهم فانضم ذلك الجيش للثائرين واستوى الجميع فى عصيان الخليفة ومحاربته واضطر هو أن يهرب على باخرة انجليزية من وجه الجيوش الظافرة فلم يسلم زعيم الثورة بعد ذلك سيفه ويترك له الامر وحده »

لم يفكر الاستاذ كيف يستطيع السلطان المحتاج الى الانقاذ أن يرسل جيشاً للمقاتلة أو كيف لا يعد مكرَهاً فى ارساله حتى أن زعيم الثورة عده كذلك عند الشعب وحال بتلك الدعاية التى لا يحتاج فهمها أيضا لكبير ألمعية دون انضمامهم الى جيش الخليفة ومع هذا فقد وقعت ثورات عديدة منهم فى بلاد مختلفة على زعيم الثائرين وحديثُ انضمام جيش السلطان الى الثوار حديث مختلق وقوله « لكنه ما عتم السلطان أن اعتبر الثائرين خارجين عليه » رمىٌ للكلام على عواهنه بل السلطان عتم وبات وأصبح وأمسى ومكث شهوراً وسنين واستولت جيوش اليونان على الاناضول ودام تقهقر زعيم الثورة أمامهم وانضمت الى مسألة ازمير مسائل أخرى ساقت الدول الى اقتراح معاهدة (سيفر) وارهاق الدولة بقبولها وكان السبب فيه الثورة التى لم تنفع الدولة بالرغم من امتدادها بل أضرت بها فعند ذلك أرسل السلطان جيشه ولا يدرى الاستاذ كما لا يدرى أشياء كثيرة أنه لو جدّ السلطان فى محاربة الثائرين الذين كان أرسل هو زعيمهم الى الاناضول بمنصب رسمى ومنشور من لدنه سرّىّ لما فاز على جيش السلطان ولكن السلطان ثبت فيما بينهما من العهد

وائتمنه الى يوم اضطراره الى الفرار ، ولو فرضنا إذناب الخليفة بشخصه فلا يبرر ذلك لزعيم الثورة أن لا يسلم سيفه حتى يقطع عنق الخلافة وديانة تركيا

(٧) « وما من أمة فى الارض من الامم المتمتعة بحياة صحيحة الا اعترتها هذه الادوار الانقلابية مما يكفل التاريخ العام تفصيله فى أصغر دقائقه ، والذى نريد أن نقوله هنا ان الامم فى هذا الدور تضطرب اضطراباً عاماً وتتنبه جميع حواسها تنبها مفرطا ويبلغ شعورها الى أقصى حدودها فتتحلل من جميع ماتقيدت به فى عهدها السابق وتحاول أن تنشىء لنفسها وجوداً جديدا قائما على أرقى ما تتخيله من الاصول الاجتماعية والحوافظ الادبية ولكنها قد تخطىء المرمى فى بعض ما ترمى اليه وقد تتغالى فى البعض الآخر الا أنها لاتلبث أن تعود الى الاعتدال»

(٨) «وأول شىء يشعر به الشعب المتأثر بروح الانقلاب هو الدين لأنه كان يعلم أنه من أشد غرمائه(تأمل) بسبب ما يكون قد بدر من القائمين به من تقييده فيعمد اما الى حذفه كما فعله الفرنسيون فى أول ثورتهم وكما كاد يفعل الاسبانيون فى انقلابهم الاخير واما الى اجتذاب قياد الشعب من أيديهم كما فعلت كل أمة بدون استثناء والترك فى دورهم الانقلابى لا يمكن أن يفلتوا من هذه السنة الاجتماعية القاهرة » لم يفلتوا ولكن لم يصرح باسم ما فعلوا كما صرح فى الفرنسيين والاسبانيين بل اكتفى بقوله بعده « فان لوحظ عليهم شىء من الشطط فتلك طبيعة الاشياء ثم لا يلبثون أن يعودوا الى أحسن ما يرجونه لانفسهم ما دامت ارادتهم حرة »

(٩) « هل يريد المتصدون للكتابة من الذين لا يزالون ينفثون فى روع الناس أصولا ما أنزل الله بها من سلطان (يعنى بهم علماء الدين) أن يقضوا على البقية الباقية من أمل فى نهضة مباركة لكل شعب على حدته وبقدر وسائله تحت ظلال دين واحد (ا) وهو الاسلام (هل يجتمع الاسلام واللادينية) عدو الركود والجمود »

« لا أظن الشعوب نعيرهم التفاتا بعد اليوم فقد أصغت اليهم حتى سئمت السماع (وهل الاستاذ سئم أيضا من جهاد الماضي وندم) ورأت من عنت الحدثان ما أيقظ فيها عاطفة حفظ الذات (تأمل وافهم ما تشاء) والامم متى تيقظت فيها هذه العاطفة تندفع للعمل على موجبها من تجديد ما رث من أصولها وتغيير ما بلى من أوضاعها وربما حادت عن سواء السبيل وهى مندفعة فى هذا التيار ولكنها لا تلبث أن تعود الى الرشد وانما المدار أن تعمل كما يعمل الاحياء وتأخذ مكانها من القافلة الانسانية السائرة نحو (الكمال) لا أن يحال بينها وبين السير فتنقطع فى بهماء لا نبت فيها ولا ماء »

وهذا فن آخر من فنون التلبيس التى توسل بها الاستاذ فى تمويه دعايته للانقلاب التركى اللاديني فقد نسبه أولا الى الامة وهو صنع أقل قليل من الملاحدة لا يعدّون من الامة فضلا عن أن يكون صنعهم صنع الامة لكنهم خدعوها واستعملوا القوة التى أخذوها منها ثم لم يردوها الى محلها، فى غير موضعها وبالتعبير الواضح أنهم اختلسوا جيش الدولة والامة المعدّ لحراستهما وحراسة مقدساتهما من الاعداء الاجانب وثاروا به عليهما وعلى مقدساتهما بعد ثورتهم على الخليفة وكيف يجمع الاستاذ ملاحدة الترك مع الشعوب المسلمة على اختلاف جنسيتها تحت ظلال دين واحد وهو الاسلام والحال أنهم لا يجتمعون مع الشعب التركى المسلم تحت ظلال دين واحد وانما هم خارجون عليهم ملغون ما عندهم من الخلافة والديانة وكل ما هو دينى وشرعى حتى التدريس الدينى والارث الشرعى والنكاح الشرعى ناهيك الغاؤهم المادة الناطقة باسلام الدولة وحذفها من القانون الاساسى، فاعلون كل ذلك برغم الامة التركية المسلمة فلا وجه لقول الاستاذ « والترك فى دورهم الانقلابى لا يمكن أن يُفلتوا من السنة الاجتماعية القاهرة فان لوحظ عليهم شىء من الشطط فتلك طبيعة الاشياء ثم لا يلبثون أن يعودوا الى أحسن ما يرجونه لانفسهم ما دامت ارادتهم حرة » لا يزال يبحث عن الامة ولا أمة هناك ولا ارادتها

ولا حرية ارادتها وكلها مغصوب ومسلوب ومن يعبأ بما ترجوه الأمة لنفسها حتى يبحث عن رجوعها بعد الشطط الملحوظ عليها الى أحسن ما يرجى لها والشطط ليس من الامة بل من غاصبيها وغاصبي ارادتها وحرية ارادتها ، وبما علمت من أن الشعب التركى فى حنق وامتعاض على أفعال ملاحدتهم مستاؤن لها أكثر من استياء الشعوب المسلمة غير الترك ، فالذى كتبه كاتب الاسلام الجليل محب الدين الخطيب فى مجلته الغراء (الفتح) عن محاباة الاستاذ فريد لملاحدة الترك وحملها على النزعة القومية فانى لا أوافقه على هذا الرأى فلو كان الاستاذ فريد تركياً وعمل بالنزعة القومية لجرى على مرضاة أمة الترك وما انحاز الى الملاحدة الخارجين على الامة ، وانما هى نزعة لادينية برزت فى زماننا كل النزعات ، واستتبعت قلوبا تستفزها الرياح

ثم ان الاستاذ ماذا يقصد بتعبير الشطط وإخطاء المرمى فى بعض الأمور والتغالى فى البعض والحيدودة من سواء السبيل ؟ هل معنى لهذه التعبيرات بعد أن أوغل في تحبيذ جميع ما فعله سفهاء الترك وعده نهضة مباركة ورأى أقل ما استحقوه منا (ويعنى به المسلمين بغير حق) الاعجاب والتشجيع ولم يبال قطعاً أنه تحبيذ وتبريك لاماتة الاسلام فى أمة مسلمة وتشجيعهم عليها ، فما انتقد عليهم شيئاً مما صنعوا ولا عده افراطا وضلالا حتى يرجو لهم الرجوع الى الرشد والاعتدال . فما هذا التنازل فى كلام الاستاذ خلال ذلك التطاول ؟ إن هو إلا مخافة الناش ولجاجة المبطل

وههنا نقطة ننبه عليها وهى أنا عُلمنا من مصدر يوثق به أن إمام وخطيب جامع أيا صوفيا وهو من الجوامع التى أرادت حكومة تركيا التمرين على الصلاة بالتركية فيها استقلالا وأبيا قراءة القرآن التركى قائلين انهما من حملة القرآن العربى وأن الحكومة لم تأمر الأئمة بهما بعد بتاتاً والصلاة تقام فى المساجد على المنوال الاول . ومع هذا فاننا نرى الاستاذ فريد يذكر القراءة بالتركية فى الصلوات

بتركيا كأنها وقعت وعمت حيث قال « يخيل لنا أن الاسلام ملك لنا فتر انا نتحكم فيما يسمح به ومالا يسمح به ، والواقع غير هذا فان شعباً برمته ترجم الكتاب وأخذ يصلى به عملا بمذهب الامام الاعظم ولم يسألنا رأينا فيه » فيفهم من هذا أن موقف الاستاذ بأعمال أنقرة ليس موقف من يتحرى لها الجواز والتأويل استبقاءهم للاسلام واستصلاحهم بالرفق واللطف وإن كان لايرضى فعالهم وبالاخص ماشط منها والدليل عليه أنه يتقدمهم فى تجويز وترويج ماسيقع منهم قبل وقوعه فكأنه يحثهم على الشطط وايقاع مالم يقع بعد

ثم العجب أن الاستاذ يحبذ كل شطط أحدث فى تركيا من الالحاد الى رقص المسلمات مع الاجانب والى زواجهن من غير المسلمين ويرى الشعب التركى المسوق اليه جديراً بالتشجيع كل التشجيع ليُقدم عليه ولا يحجم عنه ويقول هنيئاً لكم هذه الافعال ثم يقول ولعلكم تعودون بعدها الى الاعتدال أو الى سواء السبيل يعنى بعد تقويض دعائم الاسلام وهتك الاعراض وافساد الانساب . ثم العجب على العجب أن الاستاذ اعتبر فى أخريات مقالاته ما حدث فى تركيا من ترجمة القرآن نتيجة طبيعية لتطورهم الأدبى وعنَى بتطورهم الأدبى ما جرى فيها من الاحوال تحت عنوان الانقلاب ، ثم أطال فى التنديد بكل من أراد أن يصد الشعوب عما يحتمه عليهم ناموس التطور فاعتبر كل ما وقع فى تركيا الحديثة من مقتضيات ناموس التطور الادبى فهل لايكون رجوعهم الى الاعتدال أو الى سواء السبيل رجوعا عن التطور الأدبي وخروجا على ناموسه ، وكيف يجيزه الاستاذ وهو يحامى ذلك الناموس على أحدث طراز

(١٠) ومن لجلجة الاستاذ فى نقاشه قوله « وبعد فقد اتهمنى الاستاذ (التفتازانى) بأنى دعوت العرب لانتحال الحروف الافرنجية وهذا غير الواقع » والحال أنه قال فى مقاله الاول « والحروف التى يريد الاستاذ (التفتازانى) أن يبقى عليها الاتراك وإن لم يكن من مصلحتهم الاحتفاظ بها هى العلة الرئيسية

فى افساد اللغة العربية وتسرب اللحن اليها بحيث أصبحت عند أهلها كلغة أجنبية وذلك بسبب قصورها عن تصوير الكلمات بحركاتها كجميع لغات العالم »

« هذه الاحرف العربية من النقص بحيث قضت على اللغة التى تمثلها قضاء لامعقب له ، فلو كانت كالاحرف الافرنجية تصور الكلمة على مايتلفظ بها لما شاع اللحن ولما تحطمت مبانى أبلغ الكلمات العربية فى ألسنة أهلها هذا التحطم المعيب »

« فان أردت أن تعرف الفرق بين كمال الحروف الافرنجية وقصور العربية فاليك بيت المتنبى . . . »

« هل فى الدنيا حروف لايستطاع أن يقرأ ما يكتب بها الا بعد أن يفهم المراد منه أولا »

فقد أتى من مدائح الحروف الافرنجية ومعائب الحروف العربية ما يتهمه أبلغ تهمة بأنه يدعو العرب لانتحال الاحرف الافرنجية ويكذّبه فى قوله « وهذا غير الواقع » ولا ينفعه اعتذاره بأنه قال بعد أن أكثر من مدائح هذه ونقائص تيك : « فهذه الحروف العربية ذات الاصل العريق فى الوثنية التى حطمت اللغة العربية وقضت عليها بأن جعلتها لدى أهلها لساناً أعجمياً يجب علينا أن ننظر باصلاحها فى أول فرصة تسنح لنا » فهل بقى لاصلاح هذه الحروف العربية التى لم يأل جهداً فى تعييبها حتى فى نفس الفقرة التى أتى بها لازالة التهمة عن نفسه سبيل غير تبديلها وكل ذلك لجلجة المبطل ورجرجة المخطل ولا يدرى الاستاذ الذى يبذل من كيس التقليد الاعمى فيعيب الحروف العربية بنقصان حركاتها ، ان فى الاحرف الافرنجية نقائص فى نفس الحروف وجوهرها وقد سبق منا ان انتحال الحروف الافرنجية يُبيد قوم الضاد وليس فيها بعد الضاد العين والغين والخاء والقاف والطاء والذال والثاء والهمزة الساكنة ولا يميّز بين الحاء والهاء والصاد والسين والدال والطاء ولا يمكن كتابة همزة الوصل المتحركة فى حالة الابتداء الساقطة فى حالة الوصل ولا كتابة تاء التأنيث اللاحقة بالاسماء ولا كتابة كل كلمة فيها حرف

من الحروف السابقة أو حرفان أو حروف فلا تجد فى غير النادر كلة عربية إلا وتفقد بعض حروفها أو أكثرها مثل نعم وبئس واعلم ويستأخرون والشماع والذراع والعنب والعذاب والاضطجاع والاستعراض والتضعضع وقد تكون كلة لايكتب منها حرف واحد كمظلة وخضع فيقال للاستاذ فريد الذى تحدانا بقراءة بيت المتنبيء :

وحملت ماحملت من هذى المهى وحملت ماحملت من حسراتها

المكتوب بالحروف العربية اكتب (خضع) بالحروف الافرنجية فهل يقاس الاجحاف بالكلمة عن آخرها بالترددفى حركات بعض حروفها على انه يقال له ان (h) الذى وضعتَه مكان الحاء عند ماكتبت بيت المتنبيء بالحروف الافرنجية لايُدرى أنه حاء أو هاء أو خاء إلا بعد تأمل المعنى وبعد تأمل المعنى لايُلحن فيه مكتوبا بالحروف العربية ولو وُضعت على محل اللبس حركة أو حركتان لم يبق فى البيت أى اشكال

وفى مقابلة نقصان الحركات الذى يمكن تداركه بأدنى عناية فى الخط بدون أىّ تغيير فيه فان فى تطبيق الحروف الافرنجية على الكلمات العربية اشكالات واستحالات لايرضى أن يواجهها اللسان العربى إلا أعدى عدوه أو شر من جُن من أصدقائه ولو لم يكن ايمان الاستاذ بموقف تركيا الحالى ايمانا بالغيب وفتش من دخائل أهلها لاطلع على شدة ما قاسوه من الانقلاب الحرفى وفيما نقلته السياسة الاسبوعية عن الشاعر الاعظم ونقلناه عنها كفاية للعارف وان أحوجنا الاستاذ الى ايراد بعض أمثلة تشهد بفساد اللغة العربية وتلاشيها عند كتابتها بالاحرف الافرنجية فنسأله كيف يميز الاسم من الاثم وعسى من عصى وسار من صار ورعى من رأى والعمومة من الامومة واختل من احتل والخلق من الحلق والخلاّق من الحلاّق والهتف من الحتف والاعضاء من الاعداء والاعصار من الآثار والحرم من الهرم والآسى من العاصى والعاصم من الآثم والناعم من النائم والعاجل من الآجل والاعلام من الايلام والاسرار من الاصرار والانتهاء من الانتحاء

و الصاعد من الساعد و الجاعد من الجاهد والساحر من الساخر و الساهر والحواص من الحواس و البحث من البخس والبغث من البعث و الغث من التعث والآلة من السالة و الخامة من الهامة والاختراق من الاحتراق والحار من الحار والأثور من المأسور والسورة من الصورة والأعجام من الآجام والبعل من البال والتخلي من التحلي والعظيمة من العزيمة والعزوبة من العذوبة و العزل من العذل والاعصار من الاعسار و الايثار والنثر من النسر والحبوط من الهبوط و الخبط من الحبط والعجب من الاعجب والضالين من الدالين والمسالخين من المصالحين الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يسعه المقام الاستطرادى

ثم ان الحروف الافرنجية حروف منفصلة تطول بها الكلمة وتزيد حروفها الصوتية القائمة مقام الحركات والتنوين طولا على طولها حتى أن كلمة (رجل)المركبة من الحروف الثلاثة يبلغ عدد حروفها بالخط الافرنجي سبعةَ الحروف الثلاثة الاصلية والحروف الثلاثة الاخرى لحركاتها وحرف للتنوين فيصير رجل راج ول ون فالكلمة بكثرة حروفها وطول تلك الحروف فى نفسها لكونها حروفا منفصلة مستقلة و التقاطع بين كل من تلك الحروف المستقلة لا تقرأ فى سرعة قراءة الكلمة المؤلفة من الحروف العربية بل ليس فى الكلمة المؤلفة من الحروف الافرنجية تأليف لبقاء أجزائها على طولها وانفصالها فالكلمة تكتسى بالحروف العربية شخصية تعرف و تمتاز فى أول لمحة فاذا رأيتها رأيتها بجملتها دفعة كما رأيت انسانا وعرفته بسيمائه لا أنك رأيت خده الأيمن ثم عينه اليمنى ثم جبهته أو أنفه ثم عينه اليسرى ثم خده الايسر ثم فمه وشفتيه وذقنه على الترتيب المتفصل الاجزاء و الملامح فللحروف العربية شكلان شكل مستقل وشكل بحسب موضعه فى الكلمة وهو متصل ومختزل لا ريب فى أنه تكامل بعد الشكل الاول والحروف الافرنجية ما تكاملت و بقيت ابتدائية على انفصالها فلا تؤلف منها الكلمة ولا تكتسى بها شخصية ولا سيماء فلو لم يجعلوا شيئاً من الفراغ الفاصل بين كلمة وكلمة لاختلطت

الكلمات ولم تتبين للناظر ولهذا يجد قارئ المقالة المكتوبة بالحروف العربية كل السهولة والسرعة فى معرفة الكلمات بسيمائها فينجلى على ناظره من بمدء كل سطر بكلماته المشخصة الممتازة والخط الافرنجى بكلماتها وسطورها عبارة عن حروف منثورة غير ملتئمة وهذا الفرق بينها وبين الحروف العربية مهم جدا عظيم التأثير فى الكتابة والقراءة فلو علم الافرنج مزية حروفنا على حروفهم من هذه الجهة ولم يمنعهم التعصب والتعزز بما عندهم لهجروا حروفهم واختاروا الحروف العربية وانهم من طول مراسهم يستطيعون قراءة الخط المكتوب باحرفهم بالسهولة ولكن لا بسهولة ما نقرأ الخط المكتوب بحروفنا وهذا الفرق بين الحرفين يبقى أبد الآبدين ولا يزول على مر السنين لانه فرق المتصل عن المنفصل والقصير عن الطويل وهو لا يقبل الزوال بدليل رياضى فالعين ترى كلمة محمد أو حسين وينساق نظرها من أول الكلمة الى آخرها بدرجة من السرعة كانه لا ترتيب بين حروفها تقديما وتأخيرا فترى حروفها بأجمعها فى آن واحد ولا يتأخر آخرها عن أولها وسبب ذلك ان الاتصال والاختزال قد كسيا الكلمة سيماء فيعرفها البصر باول لمحته ولا يلبث بين ترتيب أجزائها ولو كتبت محمد وحسين منفصل الحروف يصير هكذا م و ح ا م م ه د و ن ، ح و س ى ن و ن فلا ريب فى أن النظر يمكث لقراءة كل حرف والانتقال من حرف الى حرف ولو كان المكث فى زمان لا يحسه ولا يدركه الممارس وقس على الكلمة التراكيب والجمل فاكتب المطبعة المصرية أو بلدية الاسكندرية بحروفها المتصلة ثم اكتبها بالحروف المنفصلة ال م ه ط ب ه ع ا ت و ل م ى ص ر ى ى ه ت و ه ب ه ل ه د ى ى ه ت و ل ا ى ى س ك ه ن د ه ر ى ي ى ه ت ى وان شئت اكتب الحمد لله رب العالمين ولا عدوان الا على الظالمين واعرض على القارئ تجده قد عرف تمام الجملة وأحاط بتمام السطر فى لمحته الاولى ثم اذا كتبته هكذا ا ه ل ح ا م د و ل ى ل ل ا ه ى ر ا ب ب ى ل ع ا ل ه م ى ن ه ، و ه ل ا ع و د و ا ن ه ا ى ل ل ا ع ا ل ه ظ ظ ا ل ى

م ى ن ه فالعبارة لا تمتاز ولا تنجلى لنظرك ببداهتها السابقة فى الشكل الاول وأنت كاتبها فضلا عن نظر غيرك بل تحتاج فى تمييزها بشرط أن لا تقرأها من ذاكرتك الى مسايرة نظرك عليها مبتدئا من أولها ومنتقلا من حرف الى حرف ولو كان هذا الانتقال فى أسرع مايكون من الزمن فالحروف فى كلا الخطين حروفنا التى ألفناها منذ تعلمنا القراءة ولكنه الانفصال بين حروف الثانى سبّب صعوبة قراءته وحال دون سرعتها وكانت قراءة الاول على تجرده من الحركات أسهل من الثانى وذلك بفضل تعرّف الكلمات بشخصياتها التى أتتها من الحروف المتصلة وكسبتها صور تمتاز لاول لمحة . وقد اخترنا لتبيين الفرق بين الخط المتصل والخط المنفصل أمثلة من الحروف العربية المنفصلة ليتضح الفرق عند من لا يقرؤن الحروف الافرنجية وتعم الفائدة والا فليست حروفهم أفضل من حروفنا وأسهل على القارئ وكانت حكومة الاتحاد والترقى قبل الحرب العامة اختارت الكتابة فى تركيا بحروف منفصلة وتقدمت فى العمل بها وزارة الحربية لكنها فشلت فى الحرب العامة ثم نُسيت وكانت كأن لم يُبدأ بتجربتها . ولا تحملن الفرق الذى استبان لك من الامثلة السابقة بين المتصل والمنفصل على عدم مراسنا القراءة بالحروف المنفصلة وان كانت الحروف نفسها مألوفة من قديم لكونها حروفنا لان المراس مهما زة وتأكد فلن يزيل الفرق الطبيعى بين المتصل المؤلف والمنفصل المتشتت . نعم يتعلم الاطفال الحروف المنفصلة قبل المتصلة باشهر وان هذا كل ما ينجذب باصحاب النظر القصير وكل مايزيدونه على دافع التقليد الاوربى ومثله كمثل الادوات البسيطة يسهل تعلمها على من يريد استعمالها ولا يسهل تعلم الادوات المتكاملة لكن الفضل بعد التعلم للمتكامل كما قال الشاعر العربى :

دعينى أنل ما لا ينال من العلى فصعب المنى فى الصعب والسهل فى السهل

وحروف كل قوم من الاوربيين تتبع أحكاما وقواعد تورث صعوبة فى قراءتها وعثار بعرقتها العالم عن الجاهل ومثلها تعد زينة كل لغة وخصوصيتها ولا

يخطر بخلد أهلها أن يزيلوها واليونانيون يستعملون بعض الحروف الافرنجية فى مكان الآخر فيكتبون B ويقرأون V ويكتبون P فيقرأون R ويكتبون H فيقرأون I ويكتبون S فيقرأون G ويكتبون U فيقرأون K ويكتبون L فيقرأون S وذلك يوجب التباسا يزعج كل من يستعمل الفرنسية مثلا مع اليونانية ولا يؤدى تبديلها الى ادخال حرف أجنبى فى لغة اليونان ومع هذا فانهم لايزالون يجرون على القديم احتراما لمألوف الشعب وتاريخ اليونان

(١١) « هذا ما أردت ايراده ملاحظة على ما كتب الاستاذ التفتازانى لم يسقنى اليه الا كراهتى أن نوصم بأننا ننظر الى أنجب شعب شرقى أسس أعظم دولة اسلامية ولعب دوراً خطيراً فى السياسة العالميـة وقام أخيراً بأعجب ثورة عرفها البشر، بعين لاتقدر قدر هذه الشئون العظام ولا تنزلها منزلتها »

استفق من سكرتك أيها الاستاذ أو أقصر عن مغالطتك ولا تلبس الحق بالباطل انك لاتحامى عن شعب شرقى أسس أعظم دولة اسلامية ولعب دوراً خطيراً فى السياسة العالمية بل تحامى عن الذين لعبوا دويرة فهدموا تلك الدولة العظمى الاسلامية وحرّموا على الشعب أن يذكر اسمها ويزور مقابر مؤسسيها ومدعمى أركانها أعنى السلاطين الفاتحين العثمانيين وحرّموا على أولادهم وأحفادهم دخول البلاد التى فتحها آباؤهم ولا أظنك عند هدم تلك الدولة العظمى الاسلامية قد فهت ببنت شفة ولا جريت بدمعة عين على أنهر الصحف وان الذين تحامى عنهم لايقبلون لانفسهم أن يعتبروا من شعب شرقى كما اعتبرتهم كذلك غلطاء بل لو كانوا شرقيين ما تحاميتَ عنهم وأنت مندفع بدافع غربى

(١٢) من مقاله فى المقطم ردا على حضرة الاستاذ أحمد محمد شاكر ـ « يقول الاستاذ أحمد محمد شاكر ان الاتراك ترجموا القرآن وألزموا الناس بالصلاة بالترجمة سواء العاجز منهم عن العربية وغير العاجز وهو ليس بصحيح فانهم لم يلزموا أحداً بشىء ولا يعقل أن يفعلوا ذلك وأن يطاعوا فيه »

يعنى ان الحكومة ترعى وتحترم حرية الشعب فلا تلزمه بشيء ينافيها وان ألزمته فلا تطاع فيه ونحن نقول كما لم تلزم بنزع الطربوش ولبس البرنيطة وكما لم تطع فيه حتى شنقت منه كثيرين

(١٣) تطور أستاذ التطور أطواراً ولم يستقر عند دعواه فى ترجمة القرآن على سناد معين فطورا أسند دعواه الى مذهب الامام أبى حنيفة وحده وا كثر من اعظام اسمه العظيم وطوراً الى اجماعه مع صاحبيه وطورا قال : «فلو كان يطوف بخيالنا أن ما كدونالد قد يصبح فى يوم من الايام شافعياً وهندنبرج حنفياً بدخولهما فى الاسلام فان هذا يدل على ضيق عقل منا لا يغتفر» فاستهان بمذهب أبى حنيفة والشافعى ومال الى مذهب المانشستر جارديان فيما كتبته عن ترجمة القرآن وطورا حكى ما قاله نابليون تشجيعا لعسكره فى سفح الأهرام «ان العالم ينظر اليكم من خلال أربعين قرناً» ثم قال «ونحن نقول بين يدى قرار سيصدره العلماء ان العالم ينظر الينا بأعين ست مائة مليون من المتمدنين فلنكن عند ظن أولى البصر منا» وقال فى محل آخر «ان حركة الاتراك الاخيرة قد أثرت فى العالم الغربى أعظم تأثير وأبلغه وزادهم اعجابا بها اقدامهم على كسر هذا السياج الفولاذى الذى وضعه المتأخرون أمام ترجمة القرآن مع جوازه فى أقدم المذاهب الفقهية واعتبرهم عاملين على نبذ الخرافات والبدع كما يقول المانشستر جارديان فلنجتنب أن نقع فى ألسنة الامم».

فبنى ما ادعاه على آراء الغربيين الاجانب وحث العلماء على أن ينظروا فى قرارهم الذى سيصدرونه الى مافيه مرضاتهم لا الى كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد أئمة الدين وما تقتضيه قواعد الشرع الاسلامى حتى يكونوا معجبين بقرارهم كما أعجبوا بحركة الاتراك فيظهر أن تحدثه عن مذهب أبى حنيفة وحده أو مع صاحبيه وتعلله به فى اثبات دعواه كلام فارغ يرمى الى التلاعب بالمعقول والنقول ويؤيده قوله :

«يخيل الينا أن الاسلام ملك لنا فتر انا نتحكم فيما يسمح به وما لا يسمح به من رُخَصه وعزائمه والواقع غير هذا فان شعباً (١) برمته (١) ترجم الكتاب وأخذ يصلى به عملا بمذهب الامام الاعظم ولم يسألنا رأينا فى ذلك وليس له أن يسألنا لانهم رجال ونحن رجال» الحق الواقع أنهم لم يسألوا الامام الاعظم أيضاً رأيه فى ذلك لا ولو كما سأل الاستاذُ من قبيل التعلل والتستر لانهم أبطلوا مذاهب الاسلام وألغوا العمل بالشريعة وانهم تحرَّوا فى كل مافعلوه تحبيذ أوربا لتجديدهم والقضاء على معالم الاسلام من وراء ستار التجديد كما لم يقصّر الاستاذ على طول مقالاته فى تحرى مرضاة الغربيين وترجيحها على كل شىء وعنده أن الاسلام ليس ملكا لنا ولا للمسلمين بل ملك الملاحدة وملك الغربيين الذين ملكوا كل شىء وملكوا ثقة الاستاذ بهم فوق ثقته بالله وان كان الله تعالى يقول فى كتابه الذى يريد الاستاذ أن يترجم الى كل لغة (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) وقال (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) وقال أيضا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)

(١٤) — من مقاله فى المقطم ردا على حضرة الاستاذ احمد محمد شاكر —

«وقد بدا من جميع الشعوب الاسلامية الاجنبية اليوم ميل الى النهوض ولاحت منها بوادر الاخذ بالاصلاح فقد تابع كثير منها خطوات الاتراك فى أستعمال الحروف الافرنجية فى كتابتها بدل العربية وهى شعوب التركستان الصينية والتركستان الروسية والتتار وأذربيجان وبخارى والقريم وهذه مجموعة أمم تقدر بستين مليونا ولا مناص لها من أخذها اخذ زعيمتها فى الصلاة بالقرآن مترجماً الى لغاتها أيضاً وقد ترجمته من قبل ولا تنتظر بعد ذلك إلا سنوح الفرصة وقد سنحت وفى الصين سبعون مليوناً من المسلمين يتحدثون بالصلاة بلغتهم (!!) وفى

الهند نحو ثمانين مليونا وفى جاوة والفلبين وغيرهما نحو هذا العدد وجميعها أمم ليس فى لغات أكثرها كلة عربية وهى على وشك نهضة أدبية فلا يعقل أن تتقاعس عن تقليد الاتراك فى يوم من الايام القريبة »

فرق الشعوب المسلمة قسمين : قسم نهض فعلا وأخذ بالاصلح وتابع خطوات الاتراك والشعوب التى عدها فى هذا القسم مسوقون الى مايعتبره الاستاذ صلاحا تحت نير البلاشفة كما أن الشعب التركى يساق اليه تحت نير رجال أنقرة اخوة البلاشفة ، حتى ان الاستاذ أخطأ فى إتباع تلك الشعوب خطوات الاتراك فى استعمال الحروف الافرنجية بل الواقع ان البلاشفة أرهقوا الشعوب الاسلامية التى فى بلاد الروس باستعمال تلك الحروف أولا ثم تابعت أنقرة خطوات البلاشفة فى ارهاق الشعب التركى ـ على عكس ما ذكره الاستاذ ـ والقسم الثانى من الشعوب المسلمة لم ينهض بعد ولم يأخذ بالاصلح لأن تلك الشعوب لم يسعدهم الحظ أن يكونوا تحت إشراف الحكومة اللادينية أو البلشفية ، وكلامه فى تحدث سبعين مليوناً من المسلمين فى الصين بصلواتهم بلغتهم مؤيد بكون الصين مضرب المثل فى البعد فمن شاء فليحدث عنه ولا حرج

(١٥) — من مقاله فى المقطم رداً على حضرة الاستاذ أحمد محمد شاكر —
« وردت الاخبار بأن الاتراك ترجموا القرآن الى لغتهم وأخذوا يصلّون به مترجماً فهال ذلك كثيرين وأخذوا يكيلون لهم السباب كيلا وفاتهم أن هذا العمل من الاتراك نتيجة طبيعية لتطورهم الأدبى الحديث ، وقد حدث مثله لكل أمة متمدنة فى الارض . . . وحدثت من جراء ذلك فتن انتهت بسيادة ارادة الشعوب »

نتفاءل من انتهاء الامور بسيادة ارادة الشعوب أن الشعب التركى يتغلب إن شاء الله على فتنة ترجمة القرآن « وقد لحقت هذه السنة الطبيعية الشعب التركى اليوم فى تطوره الادبى الحديث فلا توجد قوة فى الارض تستطيع اعفاءه من حكمها ليس لنا ازاء هذا الحادث إلا أحد موقفين : إما أن نعترف بناموس التطور

علاّ ين مايصدر عنه نتيجة طبيعية لايمكن المرب منها فنبحث عن وجوه فى الدين ولو ضعيفة تقرّ الاتراك على ما عملوا استبقاء الدين نفسه وصيانة لسيادته » حتى نعد اللادينية أيضاً ديانة ، واذا كانت للدين سعة الصدر بهذه الدرجة فهو يبقى أبد الآبدين سائداً وسيداً حتى للادّينيين كما يقول الاستاذ « وصيانة لسيادته » وان كان الذين ينادون لانفسهم باللادينية قد رموا الدين تحت أقدامهم ، فالدين العصرى الراقى لايتأثر بهذا ويعد نفسه عالياً عليهم لائتلافه بكل موقف يوقف به ولا يغضب فيتنحى عن الشعوب الذين تنحّوا عنه لان الدين محتاج الى الناس وليس له فلوس لا أن الناس محتاجون اليه وإن كنا نعتقد من قبل أن الله غنى عن العالمين (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض) فنحن بين يدى أمرين : إما أن نخلد الى هذه العقائد القديمة أو نعترف بناموس التطور ونخضع لسلطانه ونتأوله بأن سلطانه من سلطان الله لأن عصر المادة يعبأ بالمحسوس ولايؤمن بالغيب والاديان فيه تتبع أهواء الناس لانهم يتبعونه » وإما أن لانعترف بناموس التطور منكرين سلطانه مراغمة للعلم والتاريخ فنصبح فى واد والامم الاسلامية غير العربية فى واد ملحقين بذات الدين أكبر الاضرار وهو فوق كل هذا كما يعرف ذلك أهل البصر فى كل عصر » « فلما رأينا اندفاع البعض فى هذا المأزق أهبنا بهم أن هونوا الامر عليكم . فالصلاة باللغة الاجنبية جائزة فى مذهب أبى حنيفة» قد عرفت أن الامام رجع عنه ولكن الاستاذ لايرجع فيُبقى الامام فيه « والقرآن اذا جازت الصلاة به مترجماً جازت بالاولى تلاوته والتدبر فيه » والله سبحانه وتعالى يقول « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » وناهيك هذه الآية التى أشار اليها الاستاذ تعمداً أو حصلت الاشارة اليها من غير تعمد منه ، قاضية على دعواه . ولو تدبر الاستاذ لادرك الفرق بين تدبر آيات القرآن وبين تدبر تراجمها ونحن مدينون بتدبر كلام الله لا كلام المترجمين ، وما الناس إلا أحد رجلين : إما من أهل التدبر فلا يُرويه إلا تدبر كلام الله بنظمه

الذى لايزال بكراً على مر الاعصار يبقى فيه للمتدبر الثانى ما لم يجده المتدبر الاول أو من أهل القناعة بأداء ما أمره ربه من قراءة كلامه المنزل على رسوله عند مناجاته إن لم يفهمه فليجتهد ليكون من أهل الفهم أو ليرض بما يقبل الله منه و لا يجعلْ بينه و بين ربه ترجمانا من كلام البشر هكذا يريد الله منه وقد قلنا فماسبق « ولا بعد فى أن يتعلق جواز الصلاة فى شريعة النبى الآتى بالنظم المعجز بقراءة ذلك المعجز بعينه بين يدى رب العالمين [1] ومقصود العبد من العبادة الحصول على مرضاة المعبود لا الائتمار بغير ما أمره الله »ولو كانت صلاة الاسلام من قبيل المناجاة المرتبة بعقلية البشر لما أُمرفيها بقراءة القرآن الذى هو كلام الله وخطابه عباده فتكون قراءته اعادة خطابه اليه ، بل بقراءة كلام المناجى لفظا ومعنى

« فلم يُرضهم هذا الكلام وأبوا إلا أن يثبتوا بكل دليل أن الاتراك تجاوزوا حدود الدين وخرجوا على كتابه وليس ذلك من الاسلام ولا من مصلحتنا و نحن نرجو أن تكون لنا زعامة دينية باعتبار أننا حفظة القرآن وحُرّاسه »

أعجب به من حارس يستميت فى مناصرة الذين يريدون أن ينبذوه وراء ظهورهم ويقيموا الترجمة مقامه ليعللوا بها الشعب التركى برهة من الزمان ثم يلحقوها بأصله ويعفوا أثرها أيضا ، وهذا يشبه مافعلوه بالخلافة أزالوا سلطتها أولا وادعوا أن الخلافة بلا حكومة أعلى مكانة فى القلوب من الخلافة ذات السلطة وكان مصدقو هذا القول ومروجو ذلك العمل فى الداخل والخارج أكثر من مروجى فتنة الترجمة ثم ألغوا الخلافة بتاتا ومحوا آثارها ، فكما أن دعوى الخلافة بلا سلطة كانت دعوى فاسدة فكذا دعوى كون ترجمة القرآن قرآنا ، وكما أن الخلافة بدون سلطة لم تقم مقام الخلافة ولم تدم فعدم قيام الترجمة مقام القرآن وعدم دوامها فى الوجود أولى

« فلو تسرعنا فى رميهم بالمروق من الدين وهم مندفعون فى تيار التجدد

---

(١) وان كان الاستاذ ينكر اعجاز نظمه كما سبق مع رده

لاستدراك ما فاتهم من عناصر الحياة الاجتماعية تركونا وشأننا وتابعوا نهضتهم وجرّوا الشعوب الاسلامية معهم » بفضل دعاية الاستاذ « فنصبح وقد اعتزلنا وفقدنا تلك الزعامة التى يجب أن نحرص عليها بكل ما أوتينا من وسيلة »

يعنى فيجب علينا أن نُبقيهم فى الاسلام ونغض الطرف حيال كل ما وقع منهم من حركات المروق ولا نسمع مناداتهم بالحكومة اللادينية ونقول عنهم انهم بالرغم من كل هذا وذاك مسلمون ولنا عليهم زعامة دينية وان كانوا يردّون ديننا وزعامتنا على وجوهنا واستقالوا من بيئة الشرق كله تملصا من هذا الدين وهذه الزعامة فان كانوا يردّوننا فنحن لانردّهم ونماشيهم وان كانوا يكرهوننا فنحن نحبهم وان كانوا لايتبعوننا فى الدين فنحن نتبعهم فى اللادينية نعمل كل ذلك استبقاء لزعامتنا الدينية عليهم وأعجب بزعامة الاستاذ فريد زعامة التابع على المتبوع وليست هذه زعامة الزعيم وانما هى زعامة الزاعم الحالم فهى لزاعمها أولى من كل زعامة وأبقى

« ان قليلا من الروح الاسلامية الحقة وقبساً من شمائل رسول الله ﷺ فى سعة صدره وايثاره الرفق فى الامور كلها والتبصر فى عواقبها يحمينا شر هذه الزعامة الادبية » لعل هنا كلمة سقطت والاصل شر فقدان هذه الزعامة أو مثله « التى لاتقوم بما طلعت عليه الشمس وغربت فقد قبل من المنافقين ظاهر اسلامهم » أعوذ بالله من شر كل منافق عليم اللسان ان الاستاذ يرد الاسلام الى موقفه الاول ويصفح عن المنافقين ويتغافل عن قوله تعالى « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » وان كانت الآية ناسخة لمعاملة الصفح لكن الاستاذ يرجح المنسوخ على الناسخ ولعله يعتذر بضعف قوة الاسلام فى زماننا بين المسلمين ويشبّهه بضعف قوته بين المشركين ويتغابى عن الفرق بين الموقفين من هذه الناحية ومن ناحية ان مسامحة المنافقين فى زمن النبى ﷺ كفت شرهم وعلى رأس المسلمين يومئذ رسول الله المؤيد الموعود له بالنصر يحفظهم من تسرّب زيغ المنافقين

فى قلوبهم ومسامحتهم فى زماننا تزيد قوة المنافقين و تضر الاسلام وههنا فارق آخر عظيم الخطورة وهو ان المنافقين فى عصر النبى ﷺ كانوا متسترين جهد طاقتهم لايعرفهم المسلمون وانما يعرفهم الرسول بما عرّفه الله وهم يتابعون المسلمين و يظهرون الاسلام ولا يخالفون أوامره ونواهيه لكن الذين يدافع عنهم الاستاذ و يأمر بمسامحتهم مجاهرون فى معاداة الاسلام ومكافحة أحكامه وشعائره فهم اجتازوا مرحلة النفاق من مديد الزمن فلا يصح اطلاق اسم المنافقين عليهم وانما منافقو اليوم من ينصرهم باسم الاسلام و يتأول لادينيتهم بالدين و يحمل أعمالهم الظاهرة الفساد على الصلاح ويحث المسلمين على الاقتداء بهم ، وقد أشبعتُ الكلام بهذا الصدد فى كتابى الذى ألفته فى داء بعض الرؤس ولبوسه وكنت أودّ لو ان الاستاذ عرف لغة الترك وقرأ كتابى ذاك فانى أرى شديداحتياجه الى قراءته من تجهيله مفتى كوملجنه الذى أفتى بكفر لابسى البرانيط تشبهاً بالكماليين وهان له هذا التجهيل خلال كلماته فى مسألة ترجمة القرآن وفى زعمه انه أيّد فتنتها بتذكار فتواه التى دلت على جهله وجهل كثير من العلماء . لكن الاستاذ نفسه لو لم يجهل مافى الاسلام من عزة النفس وذاق شيئا من حلاوتها لعلم عدم ائتلاف الاسلام والتعمد بمشابهة الاجنبى عنه وتمام البحث فى الكتاب مع الكلام المفصل فى المقايسة بين فتوى مفتى كوملجنه وفتوى مفتى الديار المصرية وما أكثر ما يعلمه المسلمون الجُدُد !! مما لا يعلمه القدماء فان القدماء كانوا يرون التشبه بالكفار من علامات الكفر و يحكمون بكفر من شدّ الزنار أو لبس الغيار باختياره والمجددون يرون هذا الرأى جهلا وكان القدماء لايختلفون ولا يترددون فى الاعتراف باعجاز القرآن من حيث البلاغة بل كان القرآن عندهم المثل الأعلى الوحيد للبلاغة المعجزة والمجددون ينكرونها و يقولون انه معجز بمعناه فقط من غير مدخلية نظمه فى اعجازه ، فما أكثر دراية الآخرين وجهالة الأولين !!

« ونحن فى زمن ان لم نقتبس من هذه السجايا ونعمل بها خرج الأمر من

أيدينا لا بالنسبة للزعامة الادبية التى لنا فحسب بل نفقد للدين سلطانه الادبى على نفوس قومنا أيضا فيتركوننا فى الزاوية التى ننتحيها و يسلكون سبيلا غير سبيلنا قاطعين الصلة بيننا و بينهم »

يريد الاستاذ أن يكون الاسلام متحولا فى كل عصر وفى كل قطر الى مايرومه أهله مماشيهم وان لم يكونوا على الحق أو الحق عنده تابع للأهواء المؤيدة بالقوة كأنه يقول فليكن الاسلام كذلك كيلا يفقد سلطانه على الناس ولا يقطعوا صلتهم به وهو كلام يرمى الى ان الدين لايستند على أصل ثابت فيحوله حذاق أهله الى ما يقتضيه الزمان والمكان ومها ألان الاستاذ الدين وجعله كقالب من الشمع فأنقرة لاتريده مادام طابع الاسلام عليه أو سمى باسمه فهى قطعت صلتها بالاسلام من يوم نادت بالحكومة اللادينية وكررت بكل وسيلة انقطاع الصلة بينها و بين المسلمين نذكر مثالا له طلب قنصل الترك بالقدس الشريف انزال الراية التركية من بين رايات الحكومات الاسلامية المرفوعة على بناء المؤتمر الاسلامى والحادثة قريبة العهد لم ينسها الناس

(١٦) من مقاله فى المقطم رداً على الاستاذ أحمد محمد شاكر « ان الاتراك يدرسون الدين فى مدارسهم الحكومية ولا ينوون الاقلاع عن تدريسه (راجع رسالة الاستانة لمراسل المقطم الخاص بتركيا فى عدده الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٣١) فتخيلوا الآن أمة تدرس الدين لابنائها فى مدارسها »

تخيل أنت ياأستاذ واجتهد أن تخيل للناس ماتتخيله ، اذ لاوجود لما تقوله وتدعيه من التدريس الدينى الحكومى فى تركيا الا فى خيالك وتخييلك ودليلك أعنى رسالة الاستانة لمراسل المقطم حجة قاطعة يكفر منكرها حين لايكفر الذين ينادون بالحكومة اللادينية ويحلون المحرمات

« ثم تعمد الى ترجمة كتابه بلغتها لتمكينهم ذكوراً واناثاً من الاطلاع عليه وتدبره وقد أضافت الى جامعتها كلية ممنها كلية الالهيات لتخريج رجال دينيين

من ذوى العقليات الممتازة كى ينافحوا عن الاسلام بأسلحة جديدة . قلنا تخيلوا أمة على هذا النحو ثم أخبرونى هل يكون أثر كل هذه الجهود فيها أن ترتد عن دينها أم تزيد لصوقا به »

نسأل الاستاذ اذا لم يُقصد الارتداد عن الاسلام وحوولت خدمة الدين بصور يدعيها ويكسوها الوجود فى الخيال فلماذا يُنادى بالحكومة اللادينية وتخرج المادة المعترفة بدين الدولة من الدستور ؟ هل رجال أنقرة مجانين أو المجنون من يعزو الدين الى اللادينيين ؟ وأما ادعاء زيادة لصوقهم بالدين فزيادة على الجنون فنقول له تخيل يا أستاذ وتوغل فى التخيل حتى تخرج من جامعة الحكومة اللادينية السادّة أبواب جميع المعاهد الدينية رجالا دينيين منافحين عن الاسلام بأسلحة جديدة يصيب أكباد مؤسسى تلك الجامعة على طراز لاديني وتنعكس على مقاصدهم ، تخيل فلا مشاحة فى التخيل

« ثم تخيلوا أمة على ما كانت عليه الأمة التركية فى عهد الخلافة تصلى بالعربية ولا تفهمها وقد أودعت لسيطرة رجال من ذوى العقليات العتيقة يصورون لها الدين فى شكل سخرة لا روح فيها وليس لها كتاب تعوّل عليه فى تهذيب نفسها واحياء قلبها ولا تعرف من منطقه وروحه الا ما يقال له عنها ، أترى مثل هذا الشعب يبقى طويلا على اسلامه متى عصفت به عواصف الفتن واشتدت عليه عوامل التجديد العلمى والمدنى معا ؟ »

أستاذ فتنته ترجمة القرآن يصور الترك فى عهد الخلافة لا كتاب له يعلّمه دينه كانه لا محل له بين أهل الكتاب بالرغم من أن له كتباً دينية وتفاسير القرآن على لغة الترك فان كان كل ذلك من قبيل ما يقال له عن الدين والقرآن فترجمة القرآن لا تتجاوز ما يقال له عنه أعنى ما يقول المترجم عنه ثم يخيِّل إلى قراء مقالاته عهد الخلافة متأخراً فى حماية الدين عن عهد الحكومة اللادينية ويتقدم فى الغلوّ فيخيِّل الدين فى عهد الخلافة على شكل سخرة لكون الاتراك فى ذلك العهد يصلون بالقرآن العربى المنزل على محمد ﷺ ثم يقول : أترى مثل هذا الشعب يبقى طويلا على اسلامه متى عصفت به عواصف الفتن وان كان قد بقى على الاسلام منذ

ألف سنة الى عاصفة الفتنة اللادينية التي قال الاستاذ ان عهده يحمى دين الشعب ويحرسه من عواصف الفتن فاذن مم يشكو الاستاذ ؟ ولعل عهد اللادينية يحرس الدين من عواصف الفتن ولا يحرسه من عاصفة فتنة نفسه وتكون تبعته على عنق عهد الخلافة . ثم يقول :

« انظر الى مجتمعاتنا العربية كيف ينفر المتعلمون فيها عن الدين تحت تأثير عوامل التجديد والقرآن يتلى بين أظهرهم » يعنى بنظمه العربي فكأنه يقول ان هذا القرآن العربي لا ينفع العرب ولا يقوم بالمحافظة على إسلامهم فكيف باسلام الشعوب غيرهم ونحن نقول إذا لم ينفع العربيُّ العربَ فليصلِّ العرب أيضاً بالترجمة التركية لأن فيها سراً من أسرار البركة يحتمى بحماها العجم والعرب كالقرآن العربي في الزمان الاول كان يجمع في حماه العرب والعجم . ويقول الاستاذ :

« ان الاتراك عندما سارت سفينتهم تخترق اليم » وتجتاز الى ماوراء البحار « حرروا أبناءهم من ربقة رجال يريدون احتكار الدين فنقّوا بذلك طريقه من جميع العوائير » يريد به سدهم المعاهد الدينيـة وقهرهم علماء الدين ويحبذ أعمالهم ذاك « وخلصوا ما بينهم وبين كتابه » بالترجمة وفيه أن مترجم كتاب الله يلزم أن يكون من علماء الدين الذين عدهم من العوائير في طريقه فمن أين يمكن تخليص ما بينهم وبين كتاب الله منهم اللهم إلا أن يحاوَل مترجم من الجهلاء بالدين ثم قال:

« ويسروا سبيل التطور لهم الى أبعد الغايات » حتى أوصلوهم الى اللادينية « أحراراً مطلَقين من جميع القيود » الدينية « التي لو تركت لقادتهم الى الكفر لا محالة » والآن فما بعد اللادينية كفر يُخشى ولا يمكن تكفير الكافر مرة ثانية لاستحالة تحصيل الحاصل وختم الاستاذ هذه الجمل بقوله : « قليـلا من المنطق » وانى أعيد هذا القول اليه وأزيد : قليلا من الحياء !

(١٧) من مقاله في المقطم ـ « ومن العبث مناجاة الله بلغة غير مفهومة فيتعين

على العاجز عن العربية أن يترجم القرآن وأن يصلى به ليتحقق منه معنى الصلاة وإلا كان عمله عبثاً محضاً »

يعد أستاذ فتنة ترجمة القرآن كل ما وقع فى تاريخ الاسلام للمسلمين من مختلفى الشعوب غير العرب منذ دخولهم الاسلام الى يومنا هذا من الصلوات التى صلوها بالقرآن العربى المنزل ويصلونها اليوم وسوف يصلونها غداً الى ما شاء الله لا يحصيها ولا مصليها أرقام الملايين ، عبثاً محضاً فأين فقهاء المذاهب الاربعة الاسلامية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ان الاستاذ فريد لايجيز الصلاة بالقرآن العربى لغير من لا يفهم لغة العرب وان كان من حفاظ القرآن المجيدين المجودين ويعد صلاته عبثاً محضاً . أرأيتم من تلاعب وتعلل بمذهب الامام أبى حنيفة لاستجازة الصلاة بالترجمة التركية كيف ترقى من المسألة المتنازع فيها الى الصلاة بالقرآن العربى الذى لا كلام لأحد من أهل المذاهب الاسلامية فى صحتها وكمال صحتها ، وقال ان الصلاة التى تجدر بأن لاتكون صحيحة بل بأن لا تعد صلاة هى هذه الصلاة بالقرآن العربى فهى عبث محض لايتحقق معنى الصلاة فيها ، ومن العبث مناجاة الله بلغة غير مفهومة وعد هذا الشكل من التعبد فى موضع آخر من كلماته التى نقلناها بنصوصها « شكل سخرة » وقال فى موضع آخر : « أيحكم هذا الاسلام السمح على مئات الملايين من الناس حكم بعض الملل على الطوائف المنبوذة فيحرّم عليهم أن يعبدوا الله بلسانهم وأن ينقلوا كلامه الى لغاتهم فيجعل منها أشباحا تتحرك ولا تفقه لحركاتها معنى وتعيش طوال حياتها كالسوائم منقادة لرُعاة لا يَرِدون بها الا سرابا » ونحن على تشديدنا الكلام حسبما اقتضاه النقاش مع الاستاذ الذى تسفّه على المسلمين فى سبيل المنافحة عن اللادينيين فعبر عنهم بالسوائم ، لانخرج فى التكلم معه عن دائرة الأدب ولا نعده من السوائم . نعم نعده أضل منها ، وانظروا الى قوله :

« أما قولكم ان الله فرض على المسلمين تعلم اللسان العربى فكيف يفرض

الله المحال » .. « كيف تعقلون أن تحوّلوا ألسنة نحو ثلاث مئة مليون مسلم منتشرين فى كل بقاع الارض الى لغة واحدة وقد عجزنا نحن عن نشر لغتنا بين قومنا أنفسهم » .. « فهل جرت سنة الله فى خلقه بأن تتوحد لغات أمم لمجرد وحدة دينها »

انظروا كيف يكابر أستاذ فتنة الترجمة ويغالط فى المناظرة ويعتبر قراء كلماته أيضا من السوائم فيلبس تعلم قراءة القرآن العربى بقدر ما تجوز به الصلاة أو تفهّم معنى هذا القدر منه ، بتعلم لغة العرب بتمامها ويساوى بين الامرين ويرى الاول محالا وافتراضَه على المسلمين فرضَ المحال لاستحالة الثانى مع أن الاول غير الثاني وهو ظاهر ولا استحالة فى الثاني فما ظنك بالاول الذى هو من أسهل الامور وهو عين الواقع وما عمل به المسلمون أجمعون الى يومنا هذا حتى أنه أسهل أيضا بالنسبة الى تعلم القرآن بلغة جديدة فكل المسلمين المصلين كل يوم خمس مرات من الاجناس المختلفة غير العرب يكذّبون الاستاذ فى دعوى استحالة صلاتهم وقراءتهم

فالمنع عن ترجمة القرآن وإقامة المترجم مقام الاصل ليس بافتراض تعلم لغة العرب على الشعوب المسلمة غير العرب وإرهاقهم بالتعرب وإنما المفروض أن يتعلموا من القرآن العربى ما تيسر لهم لأداء فريضة الصلاة ليجتمع المسلمون على اختلاف أجناسهم فى وحدة دينية وتتفق كلمتهم فى عبادتهم واتحادُ الكلمة فى العبادة ليس بتوحيد اللغة فى المعاملات والمخاطبات ولا تكليف الاول تكليف الثاني فان انجر اليه بلا تكليف وتكوّنت الوحدة الجنسية لجميع المسلمين بالتدريج فذاك أمر لا يُخسر المسلمين (١) بل يقويهم ويدل على بعد نظر الاسلام وعلو همته وأنه دين جمع وتوحيد وقد سبق فى أوائل النظرة الثالثة أن العربية لغة الاسلام الرسمية لا ينافيها كون المسلمين شعوبا مختلفة اللغات كما لا تنافِى بين اجتماع الامم المختلفة

(١) اخسرت الرجل نقيض أربحته أساس البلاغة

تحت ادارة حكومة وبين أن تكون لغة الحكومة الرسمية لغةً واحدةً من تلك الامم تسوقهم بلطف الى تعلم لغة الحكومة

وقوله فى المقطم رداً على بيان فضيلة شيخ المقارى :

« قرأناه فاذا به مضيق وموجز الى حد أنه أغفل ذكر مذهب لايقل أتباعه عن مئة وخمسين مليونا من المسلمين منتشرين فى جميع بقاع الارض وهو مذهب أبي حنيفة النعمان فقد قرر هذا الامام الجليل فى مذهبه أنه يتعين على غير العارف بالعربية أن يصلى بالقرآن مترجماً الى أى لغة كانت »

غاية فى تلبيس الكلام على القارئ من نوع التلبيس السابق فهو يقول فى موضع «العاجز عن قراءة ما تجوز به الصلاة من القرآن العربى» وهو آية قصيرة على مذهب أبى حنيفة مثل (مدهامتان) « غير العارف بالعربية » والمتبادر منه غير العارف بلغة العرب بل هذا المعنى متعين بقرينة ما سبق منه أنه يعد الصلاة بغير لغة المصلى عبثاً محضاً وفرضَ القراءة بالقرآن العربى من قبيل فرض المحال لاعتباره فرض التعلم بلغة العرب مع أن بين الاول أى العاجز عن قراءة القرآن العربى بقدر ماتجوز به الصلاة و بين الثانى أى غير العارف باللغة العربية فرقا عظيما كالفرق بين الموجود والمعدوم لان غير العارف بلغة العرب من المسلمين كثير يبلغ عددهم مئات من الملايين والعاجز عن قراءة القرآن العربى بقدر ما يُجزؤه فى صلاته لا يكاد يوجد بين المسلمين فالاستاذ يتنزل فى ترويج فتنته الى هذا الغش الواضح المفضح ويستخرج من المعدوم موجوداً بل أكثر ما يوجد من اعداد المسلمين فيحكم بقياس منطقه الزائف الذى خلا عن شرط تكرر الحد الاوسط أن كل الشعوب المسلمة غير المتكلمين بلغة العرب يتعين عليهم فى مذهب أبى حنيفة أن يصلّوا بالترجمة وان لم يعجزوا عن قراءة القرآن العربى أو كانوا من حملته وحفاظه هل هذا صحيح وهكذا مذهب أبي حنيفة ؟ أيها المسلمون، ان أدنى عالم من علماء الدين الذين يحتقرهم ويندد بهم الاستاذ لا ينزل الى هذه الدركة من

الغش فى تصوير مسألة دينية فيلزم مما يقوله أن المتمذهبين بمذهب أبى حنيفة من غير العرب وعددهم على تقديره لا يقل عن مائة وخمسين مليوناً يتركون اليوم فى صلاتهم ما وجب عليهم وتعيَّن على مذهب امامهم لان كلهم يقرأون القرآن العربى وقد تركوا هذا الواجب المتعين طوال القرون الماضية فى الاسلام بين عصرهم وعصر امامهم الى أن جاء الاستاد فريد فعلّمهم واجبهم وأخبرهم بتقصيرهم فيه وهو نفسه قصّر فى واجب التعليم حيث أخره الى ما بعد إحداث أنقرة فتنة ترجمة القرآن ولم يَتم بواجبه فى السنوات التى قضاها فى خدمة الاسلام على الطراز الاول

أما أن يلزم هذا أو يلزم أن يكون الاستاذ فريد الذى انتقد على فضيلة شيخ المقارئ اغفالَ ذلك العدد العظيم من المسلمين هو نفسه مُغفلَهم مع تضاعيف أسلافهم فى الاسلام لافضيلة الشيخ. فاخش الله يا أستاذ وارحم قراء مقالاتك وعدّنا من هذه المغالطات الظاهرة. أىُّ شعب غير عربى شكا اليك من صلاته بالقرآن العربى وأى سبب أو مصلحة أو ضرورة غير ضغط الحكومة اللادينيّة ساقت الشعب التركى الى استبدال الصلاة التركية بالصلاة الاسلامية والاذان التركى باذان الاسلام الذى كان يقرؤه بلال الحبشى عربيا ولم يخطر بباله أن يقرأه حبشياً ولا يبال أى مسلم سمع الاذان فى أقصى بلدة أو قرية سار اليها اسمه مع الاذان، أن يجد مرة أدنى تنافر بين بلال الحبشى والاذان العربى بل لم يتصل اسم أحد ولو كان عربياً بهذا الاذان اتصال بلال فتأمل امتزاج بلال الحبشى والاذان العربى بهذه الدرجة وقس عليه استئناس المسلمين على اختلاف لغاتهم بالقرآن العربى واتفاقهم عليه بحيث لا يُحسُّ أى شعب مسلم ما دام له اسلامه أنه أجنبى عنه لا القرآن العربى ولا الاذان العربى. وهل عندك يا أستاذ أن الاصوات التى كانت ترتفع بالاذان العربى من منارات الاستانة من يوم فتَحها السلطان محمد الفاتح الى أن جاء الملاحدة ففتحوها على الخليفة والمسلمين وسائر بلاد الروم ايلى والاناضولى ارتفعت عبثاً محضاً، كما كانت الصلوات التى صليت بتلك البلاد وقرئ فيها القرآن

العربى عبثاً محضاً أو عبادة بشكل سخرة على كلا معنيي السخرة ؟ فان كانت عبثاً أو سخرة فمن الذى كان يعبث بها أو يسخر منها ؟ استفق من سكرتك أيها الاستاذ وأقصر من عبثك وتلاعبك بكرامة الاسلام والمسلمين . فهل أنت بشكل سخرة كهذا وجهل تام بحال شعب الترك المسلم تذب عنهم تجاه الشيخ التفتازانى ؟ ان شعب الترك توحشه جداً قراءة القرآن والاذان التركيين و سماعهما وتؤنسه قراءتهما بلغة القرآن . وهل تدرى ياأستاذ أن الاتراك أشدرعاية لآداب الخشوع والانصات عند سماع القرآن من كثير من الذين تراهم فى مساجد مصر . وقد بلغنى أن كاتباً من أعظم كتاب الترك كانت الحكومة عهدت اليه ترجمة القرآن منذ سنين ، فبالغ فى الاهتمام بها وأتمها و بينما هو ذاك استبان له أن الحكومة تأمر بقراءة الترجمة فى الصلوات فحبس ما كتبه عنده وأبى أن يعطيه الحكومة رغم ما فى هذا الاباء من فوات منفعته المادية ا كباراً للقرآن العربى أن يقوم أثره مقامه فهذا احترام الترك للقرآن واحترام مترجمه فعلا وهذا تكذيب ما تدعى للترك وتقول عنه،لا يرضى عليه الترك المسلم ولا يقبله وقد ذكرت لك الآن أبلغ مثاله وفيما سبق سمعتَ شهادة الشاعر التركى عبد الحق حامد فى الانقلاب الحرفى وغيره وما استفاد منه علم تركيا وأدبه !! فانظر الى هذه الحقائق ثم انظر الى قولك فى الرد على فضيلة شيخ المقارئ :

« و مادام هذا مباحا فى مذهب ابى حنيفة منصوصاً عليه بما لا يحتمل التأويل فلماذا يُحجر على الشعوب غير العربية أن تستفيد منه مواتاة للنهضة الادبية التى يدفعها فيها ناموس التطور دفعاً لا قدرة لها ولا لأكبر قوة فى الأرض على صدها عنها »

أما أولا فلو فرضنا أن أبا حنيفة أباحه ولم يرجع عن اباحته فالمسلمون الاحناف من أى شعب غير عربى لم يعملوا به قط و لم يتركوا قرآنهم العربى المنزل المعجز المتواتر ولم يبغوا به بدلا فما لك من مذهب أبى حنيفة فكم مرة صليت أنت على

مذهبه بعد ما انحرفت عن خطتك واستبدلت بخدمتك الاسلام خدمة التجديد الافرنجى الخالص وهل سياك فى وجهك من أثر السجود ! فان تبرمت بصلاة الاسلام التى يقرأ فيها القرآن العربى فاذهب الى أنقرة وصل الصلاة التركية ان لم تفهمها فحسبك أنها صلاة التطور

وأما ثانياً فانك اذا حسبت كل بدعة ابتدعها مبتدعوها واتبعها متبعوها فى زماننا أمراً مقضيا من ناموس التطور الذى هو أكبر عندك من الناموس الاكبر فى عرف الاسلام وهو جبريل عليه السلام فما رأيك فى البلشفة التى تطوّرُ أنقرة جزء من تطورها وقوتُها جزء من قوتها بل نقول ان التطور الاخير فى الغرب متجه الى جهتين : اما الديانة أو الشيوعية وقد ذهب عصر رواج اللادينية فلاحدة الترك أخذوها من الغرب بعد أن كسد سوقها فيه وأعرض طالبوها عنها وفى كلام نائب ايطالى من أركان الفاشيست فى كتابه الذى بحث فيه عن تركيا الحديثة ورجالها ـ ونُشرت ترجمته بتمامها فى جريدة (الوقت) التركية قبل بضع سنين ـ ما نصه :

« أذنوا لانسحاب الدين عن أهم ساحة لحياتهم الطبيعية مقلداً فى ذاك إلحاد الغرب المخيف المميت التقليد الاعمى فاليوم كان الذين تعلموا فى باريس و برلين قبل هذا فى عصر المادة نقلوا الى بلادهم هذه الخطة بعد ما اعربت التجربة فى أوروبا عن سوء مغبتها فآلت الى الغروب فيها ، بتأخر لا يغتفر فيرى أن تركيا اللادينية تركيا الزوال »

وأما ثالثا فمثل اقامة الترجمة مقام القرآن ليست من النهضة اللادينية فى شىء ولا يدفع فيه ناموس التطور أىَّ شعب وانما يدفعه كابوس التهور ولن يكسب منها الترك الا ما كسب من برنيطة الافرنج ويظل أضحوكة مرة ثانية عند الشعوب المسلمة بل وغير المسلمة

وأما رابعا فما ذكره الاستاذ من حركات الانقلاب ان لا يكن لا كبر قوة فى

الارض قدرة على ايقافها فماذا حاجته فى بنائها على مذهب أبى حنيفة أو غيره من أئمة الاسلام وماذا كنا نفعله لو لم يوجد فى مذهب أحد منهم ما يوافقها فهل لنا حينئذ أن نصد ما يدفعنا فيه ناموس التطور وجاموسه القوى ؟ كلا يا أستاذ ان ناموس التطور الذى لا قدرة لأى قوة على صد ما يأتى منه وهو يأتى من الغرب بأيدى سماسرة كى يكتسح الشرق ما كان له ليكترث بمذاهب الاسلام وان كان مدارها على ما نزل من السماء فليت شعرى لماذا أقللت المبالغة وتواضعت عند التبجح بتيار الغرب و لم تقل لا قدرة لا كبر قوة لا فى الارض ولا فى السماء على صده فهل صُدَّ ما يأمره ناموس التطور التركى و بعبارة أصح ناموس التطور الانقرى الذى ساوى بين الرجال والنساء فى الارث والسفور والنكاح والطلاق و بين المسلم وغيره فى الزواج ، بما يعارضه فى تلك الاحكام مما اتى به الناموس السماوى ، وهل وقع تغيير تلك المعاملات فى تركيا عملا بمذهب أبى حنيفة ؟ ؟

(١٨) — من رده فى المقطم على فضيلة شيخ القـارى — « وأنت ترى أن ما لا تشهد أوروبا بفضله ولها خلافة الارض اليوم ينبذه أهله أنفسهم ظهريا لذلك أكثرتُ مذ خففت للدفاع عن الاسلام من نقل آراء ذوى البصر من أهل القارة المتمدنة فكان لما كتبته أثر أىّ أثر

هكذا حدث عن الحقائق ولا تعللنا بمذهب أبى حنيفة فما لم تشهد أوروبا بفضله لا يقوم له عندك وزن خردلة فلهذا أكثرتَ مذ خَفَفْتَ للدفاع عن الاسلام — وكدت من ضعف ملكتى فى لغة العرب وان كانت محبتى إياها أشد من محبتك وأقوى ولقصور الاحرف العربية أظنه من التخفيف — من نقل آراء ذوى البصر من أهل القارة المتمدنة فكان لما كتبتَه أثر أى أثر . يمكننا أن نقدر أثر ما كتبه الاستاذ عن آراء ذوى البصر و نعلم مقداره من أثره فى نفسه ثم نقول له ان الذين شهدوا بالفضل لدين الاسلام من أهل القارة المتمدنة مهما كثروا فلا يبلغون الخمسة فى المائة فى حين أن الكثرة السائدة على خلاف الاقلين ومادام أهل الشرق أنفسهم

يخوّن كل ما لم اذا لم تشهد أوربا بفضله وكانت الاكثرية القاهرة منها لاتشهد بفضل دين الاسلام فعلينا بدل تغييره وتقريبه الى مرضاتهم أن ننبذه بالمرة — فهو أروق فى أعينهم — الى أن استحالت الاقلية فى القارة المتمدنة أكثرية فمن أين يعلم الاستاذ ان الذين قال عنهم: « فكان لما كتبته أثر أى أثر » لم يفكروا هكذا وخضعوا لآراء الاقلين على خلاف آراء الاكثرين. والحال ان ناموس التطور الغربى الذى يؤمن به الاستاذ فوق ايمانه بالله تعالى يأمر بترجيح خطأ الاكثرية على صواب الاقلية. ولعل الاستاذ نفسه فكر فيه فرجع عن خطته أيام خفته للدفاع عن الاسلام موافقة لآراء الأقلين من أهل القارة المتمدنة، الى هدم معالمه وفق آراء الاكثرين أهل الشهادة المعتبرة منهم ووجد فى التطور الانقرى لهذا الهدم معولا أىّ معول، وقال كما يقول الفقيه بعد درس الآراء المختلفة: « وعليه المعوّل »

(١٩) — مما كتبه في الاهرام — « وبما أننا قد قضينا على أنفسنا بالقصور وأقفلنا باب الاجتهاد فى الدين وقد نهى الاسلام عن اقفاله ولم نعتدّ بأى رأى لايكون مصدره أحد المذاهب الاربعة فنحمد الله على أن القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة بها وارد فى مذهب أبى حنيفة فان ذلك يمنعنا على الاقل من تكفير الامم التى تأخذ بذلك الرأى بعد اليوم »

أنت قضيت على نفسك يا أستاذ وأقفلت على وجهك باب الاجتهاد الذى يجب أن يكون لله وللحق وليس الاجتهاد سعياً فى تبرير عمل زيد وعمرو بلد أعمال الملاحدة والذى تقول عنه انه مذهب أبى حنيفة قد رجع أبو حنيفة عنه ولا ترجع أنت لا لكونه مذهب إمامٍ من أئمة الاسلام بل لكونه موافقاً لهوى أنقرة وأهلُ الفقه من محققى الاحناف لم يقفلوا باب الاجتهاد على وجوههم ولم يتقيدوا بمذهب إمامهم فمالوا الى مذهب الشافعى فى هذه المسألة حتى علب على الكمال بن الهمام ذلك زميلك الشاكى من اقفال باب الاجتهاد مثلك

أما الاخذ بالضعيف فى باب الكف عن اكفار مسلم فقد حققت فى كتابي عن لبس البرنيطة للتشبه بالكفار أن ذلك مخصوص ومشروط بما اذا كان فيه مصلحة الاسلام وزيادة قوته أما اذا كان بالعكس فلا . على أن الكلام فى إكفار مسلم يشق عليه مفارقة الاسلام ومفارقة أخوة المسلمين لا من يرى تلك المفارقة شرفا لنفسه وفخراً فلو كان فئة — غير ملاحدة تركيا طبعاً — خدموا الاسلام وأقاموا شعائره ومثّلوا المثل الاعلى فى التمسك بسنته عند فساد أمته ولم يأتوا بشىء مما يتهمهم فى دينهم أو يُبعدهم عن الاخوة الاسلامية ثم أراد هذه الفئة أن يترجموا القرآن على لغتهم ويصلوا بها ويتركوا القرآن العربي لاعتبرناه عليهم تهمة تخل بأمانتهم وتكفى فى إسقاطهم من عيون المسلمين ومع هذا ربما أمكن أن يوجد بيننا من يكف عن تكفيرهم ويتحرى لهم وجوه الصلاح والتأويل ويتغنى ببعض الاناشيد المخدرة التى ملأ بها الاستاذ فريد مقالاته . والحال أن فاعلى هذا الفعل ملاحدة أنقرة وليس الامر إلا ضميمة الى سلسلة أحداثهم التى أرادوا بها القضاء على ما بقى من آثار الاسلام فى تركيا بل غارة على نظم القرآن بعد الغارة على أحكامه وقوانينه وان شافهم الاستاذ فريد الذى أسرف فى تحبيذ ماتقدم منهم وما تأخر من البدع المكفرة وبالغ في ملامة من لم يتبعهم فى بدعهم أو أنكرها عليهم حتى كاد يكفره قبل أن يكفرهم هو ثم رأيناه يتراجع بين كلماته ويتراءى كأنه يقنع بأقل ما يُسمح لهم من التسامح ويرضى الحكم عليهم بما دون التكفير ويتنازل فى الشفاعة لهم الى هذا الحد المناقض لمقالاته فى الدفاع عنهم وليس مرماه فى تراجعه هذا رجوعا منه الى الانصاف فى الموازنة بين الحق والباطل بل غشا وخديعة يلجأ اليها الاستاذ أحيانا من مهابة الحق الذى يسعى ليغطيه بباطله . أما تكفير الملاحدة بسبب صرفهم الشعب التركى عن القرآن الى ترجمته فلسنا بحاجة الى ذلك وما مروقهم من الاسلام بأمر جديد . وانما الكلام فى موقف الاستاذ بعد نشر هذه المقالات فنسأل أهل العلم والدين هل يبقى اسلام امرئ يرى أقل

ما يستحق ملاحظة أنقرة الاعجاب والتشجيع وينكر قداسة نظم القرآن واعجازه ببلاغته ويعد الصلاة بالقرآن العربي لغير العرب بل لغير خواصهم عبثاً وسخرة ومصليها من السوائم . واني أعلم أن الاستاذ لا يعبأ بجوابهم المنكر ولا أكتب ما أكتب ليعبأ به هو وأمثاله ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

تصحيح الخطأ

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٢	١٧	واستخرجها	واستخرجهما
٢٤	١٠	يُغنى	يُعنى
٢٤	٢١	الفاهم العربية	لفاهم العربية
٢٥	٢	للقادر	على القادر
٧٦	١٨	تونس	يونس
٨٠	٨	فى أبطاله	فى أبطالها
٨٠	١٥	ترجمة البليغ أصح من ترجمة الابلغ	ترجمة الابلغ أصح من ترجمة البليغ
٨٧	١٨	مكانة	مكان
٩٢	٢١	ويقرؤه	ويقرأه
٩٥	٩١	لسانه	لسانها
٩٨	١٣	من كتابة	بكتابة
١٠٥	٢	من جهاد	من جهاده
١١٣	١٥	زة	زاد
١١٦	٢٣	لميس	فليس

« اعتذار »

وضع عمال المطبعة فى آخر الصفحتين ٦ و ٣٤ نقشتين فيهما صور بلا علم من المؤلف . فنعتذر عن ذلك

فهرس

صحيفة

هل يمكن استنباط الاحكام من التراجم وهل يكون الانسان مجتهداً فى الكتاب بلا حاجة الى معرفة القرآن العربي ولغته

١٢ لا يصدق على الترجمة تعريف القرآن المذكور فى علم الاصول

١٣ العجب أن الاستاذ اشترط على قارئ القرآن فهم العربية ولم يشترطه على المجتهد

خطأ الاستاذ فى تقدير أحوال المسلمين غير العرب وانتقال اصول الاسلام وفروعه اليهم

١٤ هل المسلمون غير العرب قانعون بقراءة الفاتحة فى الصلاة

١٥ العهود الدولية انما تكون حجة بنصوصها ولا يجوز الاحتجاج بتراجمها

لا يمكن نقل اعجاز القرآن الى التراجم عند الاستاذ و مع هذا لا مانع عنده فى الترجمة من ناحية الاعجاز

١٦ قراءة التراجم أنسب للاعاجم عنده وأنفع

علماء أصول الفقه رحمهم الله حرسوا مكان القرآن بسياجين فولاذيين من النفى والاثبات أن يدنو الى ساحته الشك والريب

١٧ المقايسة بين تلاوة النظم العربى و تلاوة التراجم وأيتها أجمع للمقاصد و الفوائد

لا نسلم أن الاعاجم لا يستلذون بقراءة النظم العربى

١٨ من يضمن لنا أن يوجد أحد يرغب فى حفظ الترجمة كما يُحفظ القرآن و يُرغب فى حفظه عند العرب والعجم

استاذى الذى كنت فى صباى أقرأ عليه القرآن فى الكُتاب فى بلدتنا توقاد من بلاد الاناضول

مدار العبادة ليس تلذذ العابدين بها بل اكتساب رضى المعبود و الائتمار بأمره فكمال العبادة و نقصانها يوزن بكمال هذين الامرين و نقصانهما

١٩ قولهم ان الصلاة حالة مناجاة لا حالة اعجاز فيجدر بالمصلى أن يفهم معنى مايقول

صحيفة

في مناجاة ربه [١٩ ، ٦٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٤٧]

القرآن أكبر معجزة لدين الاسلام والترجمة من حيث أنها تفقد الاعجاز تغير القرآن بدرجة أنها تذهب باعجاز المعجزة

لو كانت صلاة الاسلام من قبيل المناجاة المرتبة على عقلية أناس كدعاة الترجمة لما أمر فيها بقراءة كلام الله بل بقراءة كلام المناجي لفظا ومعنى [١١٨]

٢٠—٢١ التراجم القائمة مقام القرآن تكون مواقع آيات التحدي فيها من أغرب ما يكون

إشكال في ترجمة قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بجعل آية التحدي آية في استحالة الترجمة أيضاً

٢١ اقامة الترجمة التركية مقام القرآن في تركيا حادثة مثل حادثة اقامة القانون السويسري مقام القانون الشرعي

٢٢ اذا كان قول أبي حنيفة بالجواز مخصوصاً بغير المتهم في دينه كما نبه اليه الاستاذ وهو يعلم أن أتراك أنقرة متهمون ، فمن أولئك الذين سعى فضيلته في تحري الجواز لترجمتهم واعداد الافكار في مصر لاقرارهم عليها ؟

أجاز الاستاذ الترجمة ورجح القراءة منها للاعاجم واستخرج من كل فرصة هذا الجواز حتى استخرجه من كلام الفقهاء المانعين

٢٣—٢٦ يلبس الاستاذ بين معنيي القدرة على العربية والعجز عنها المذكورين في كلام الفقهاء فيصرفهما الى غير ما أرادوا بهما

٢٥ بالرغم من تصريحه بأنه يرى ما رآه صاحبا الامام من وجوب قراءة النص العربي على القادر عليه يذهب مذهبا أبعد من رأى الامام بمرحلتين ومن رأى صاحبيه بمراحل

قول الإمام بالجواز المرجوع عنه مقيد بالكراهة ولم يذكره الاستاذ

صحيفة

صحيفة

لفظ عربى » والرد عليه

٣٨ الاستدلال على كون القرآن عبارة عن المعنى بقوله تعالى (وانه لفى زبر الاولين)
وقوله (ان هذا لفى الصحف الاولى) والرد عليه

٣٩ قوله « اما قولهم ان القرآن هو المنزل بلغة العرب لاينفى ان يكون غيره قرآنا »
والرد عليه

٤٠ قوله « وهذا لان العربية سميت قرآنا لكونه دالا على ما هو القرآن وهى الصفة
التى هى حقيقة الكلام ولهذا قلنا ان القرآن غير مخلوق على ارادة
تلك الصفة لا العبارات العربية » والرد عليه

٤١ ما فائدة كون الكلام النفسى بمعنى صفة الله تعالى غير مخلوقة وكون الكلام
اللفظى مخلوقا فى مسألة الترجمة وجواز الصلاة بالتراجم على مذهب أبى حنيفة

٤٢ زعموا ان العبرة بالمعنى والقداسة له وان كانت للفظ ايضا قداسة واختصاص بالله
تعالى فانما هى بواسطة المعنى لكونه دالا عليه

٤٢-٤٥ من رأى لمعنى القرآن مزية على لفظه فى القداسة والنسبة الى الله تعالى
وظن ان المعنى قائم بالله دون اللفظ فقد التبس عليه المعنى النفسى بمعنى
القرآن الذى هو مدلول اللفظ

٤٥ من البعيد جدا أن يكون المراد من القرآن فى قوله تعالى (فاقرأوا ما تيسر من
القرآن) الكلام النفسى الذى هو صفة الله تعالى القديمة

تعبير التيسر لاينهض دليلا على قول الامام بل ينهض دليلا على خلافه

٤٦ لما كان المعنى جزء القرآن وهو يغاير الكل ولا يطلق اسم الكل عليه فلا يصدق
القرآن على المعنى فقط ولا تقوم قرائته مقام قراءة القرآن

أئمة الدين يبالغون فى بيان وجوب تخلية القرآن عما هو اجنبي عنه فلا يجوزون
حتى ادخال القرآآت غير المتواترة فى المصحف ويعدون الخطر فى الحاق
ماليس قرآنا به كالخطر فى انكار ماهو قرآن [٦٤]

صحيفة

٨٩ يرجح أن تكون واسطة الفهم مفصلة وموضحة
هل العامة فى الغرب استيقظوا وتقدموا فى أمر الوقوف على الحقائق الدينية وتحرروا عن الاحتكارات ؟ فيقلدهم المسلمون فى ذلك

٩٠ من لايقنعه الا أن يفهم دون أن يتوسط بينه و بينه أحد فعليه أن يتعلم العربية ويتوغل فى علم البلاغة والتفسير فيحضر بنفسه بين يدى القرآن لا أن يدعوه الى موضع قدميه
الاناجيل لاتنتهى الى أصل ثابت مثل القرآن

٩١ ماذا دافع الاستاذ ومصلحته فى أن يجعل كتاب الاسلام مصابا بما أصيب به الانجيل ؟
ان المبشرين النصارى لايجتنون مايجتنون من ثمرات التبشير ببركة ترجمة الانجيل كما يزعم الاستاذ
نحن لانقول للمسلمين صعب علينا أن نعمر دنيانا فهلموا نهدم ديننا كما هو ترجمة منطق الاستاذ فى ترجمة القرآن قياساً بترجمة الانجيل
ماذا مناسبة نهضة المسلمين بترجمة القرآن ؟

٩٢ لايخاف الاسلام ولاالقرآن نهوض الشعوب وانما تخافه الحكومات التى ترهق الشعوب بأهوائها
الشعب التركى المسكين يريد أن يستمسك بقرآنه العربى فيسوقونه الى الترجمة فيأباها الشعب فى تركيا ويرضاها الاستاذ فريد فى مصر

٩٣ القرآن عربى والاسلام دين عام

٩٤ الاستاذ يغالط بين الاسلام والقرآن والكلام فى عربية القرآن لا فى عربية الاسلام

٩٥ غاية ما تستلزمه عربية القرآن مع اختلاف الامم المسلمة كون العربية لساناً رسمياً دينياً لهم ينطوون تحت سلطته كانطواء الاقوام تحت حكومة يكون لسانها الرسمى لغة قوم منهم

٩٩ الاستاذ ليس أهلا لان نتكلم معه فى تمحيص أقوال الفقهاء

صحيفة

قوله « ومن العبث مناجاة الله بلغة غير مفهومة فيتعين على العاجز عن العربية أن يترجم القرآن ويصلى به ليتحقق منه معنى الصلاة »

١٢٤ قوله « أما قولكم أن الله فرض على المسلمين تعلم اللسان العربى فكيف يفرض الله المحال . . . كيف تعقلون أن تحولوا ألسنة ثلاث مائة مليون مسلم منتشرين فى بقاع الارض الى لغة واحدة »

١٢٦ قوله عن أبى حنيفة « فقد قرر هذا الامام الجليل أنه يتعين على غير العارف بالعربية أن يصلى بالقرآن مترجماً »

١٢٨ ان شعب الترك توحشه قراءة القرآن والاذان التركيين وسماعهما وتؤنسه قراءتهما وسماعهما بلغة القرآن

الكاتب التركى الذى عهدت اليه حكومة الترك ترجمة القرآن حبس ما كتبه عنده وأبى أن يعطيه الحكومة لما استبان له أنها تأمر بقراءة الترجمة فى الصلوات

تكرار حديث مذهب أبى حنيفة وقوله عن ناموس التطور الذى يدفع الشعوب فى النهضة الأدبية « لا قدرة لها ولا لأكبر قوة فى الارض على صدها عنها »

١٢٩ اذا اعتبر الاستاذ كل بدعة عصرية أمرا مقضيا من ناموس التطور فماذا رأيه فى البلشفة التى تطور انقرة جزء من تطورها وقوتها جزء من قوتها

قول نائب ايطالى من أركان الفاشيست فى كتابه الذى نشرت ترجمته فى جريدة (الوقت) التركية « أن تركيا اللادينية تركيا الزوال »

١٣٠ قوله ان مالا تشهد اوربا بفضله ولها خلافة الارض اليوم ينبذه أهله

نا على أنفسنا بالقصور واقفلنا باب الاجتهاد فى الدين
يكون مصدره أحد المذاهب الاربعة فيحمد الله على
ة القرآن والصلاة بها وارد فى مذهب ابى حنيفة فان
ل من تكفير الامم التى تأخذ بذلك الرأى بعد اليوم »